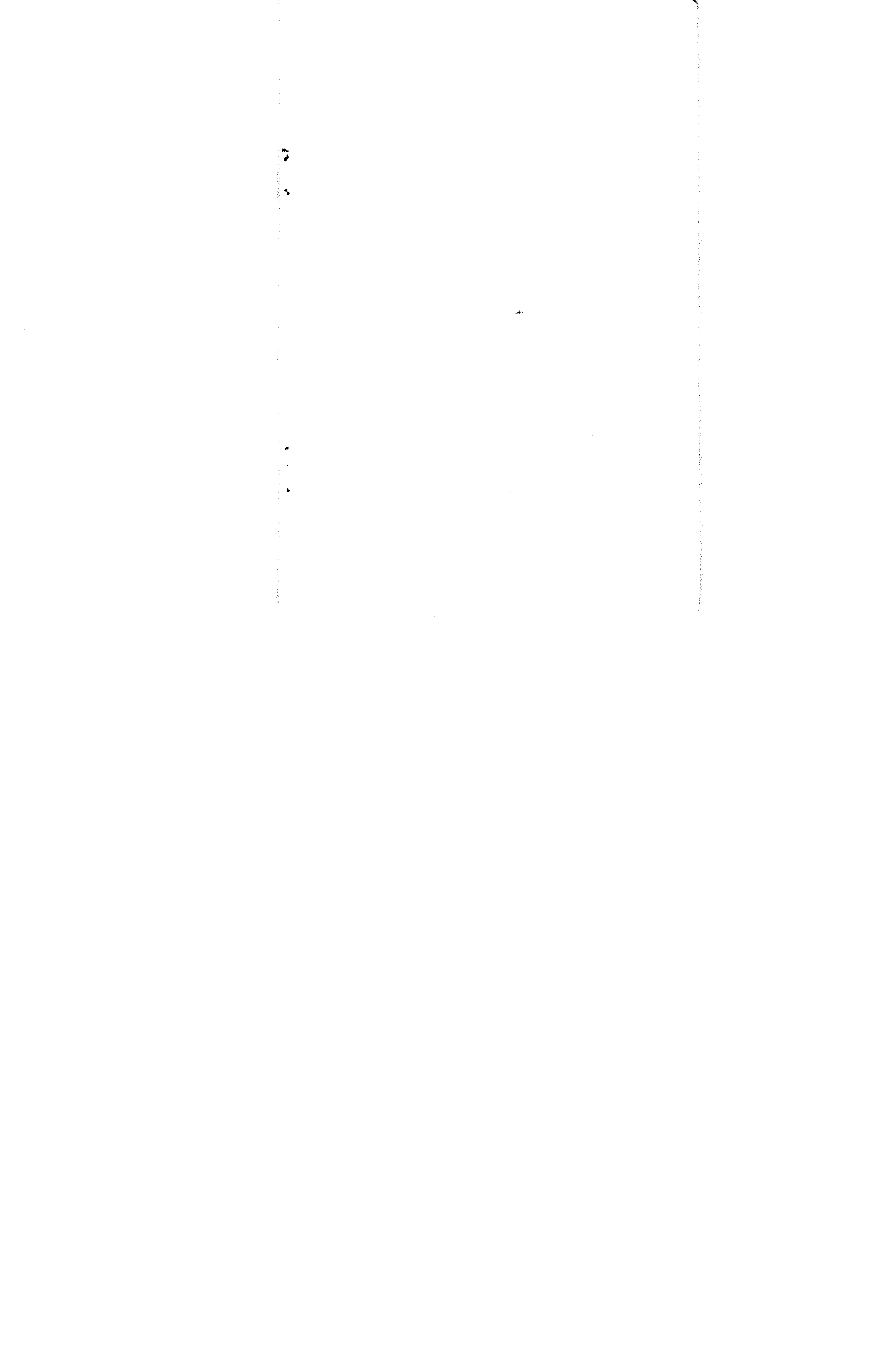
ملحق

النص الكامل لكتاب

أدب المقاومة في ڤيتنام *

ترجمة وتقديم
غالب هلسا

* قام المؤلف بترجمة النصوص التالية التي نشرت بالإنكليزية عام ١٩٦٨ تحت رقم ١٤ من سلسلة «دراسات فيتنامية» بعنوان «الأدب والتحرر الوطني في جنوب فيتنام». وقد صدرت هذه الترجمة لمرة الأولى في كتاب مستقل عام ١٩٦٩



إلى أبطال المقاومة
في أرض الفداء ... فلسطين

غالي شكري



منذ بدأ النضال الدامي للشعب الفيتنامي في مواجهة أعتى القوى الاستعمارية المعاصرة - الامبريالية الامريكية - وأنا أتابع عن كثب الى جانب صولات القتال الضارية وجولات المقاومة البطولية ، الانعكاسات الأدبية والفنية لهذه الحرب .. وذلك في حدود ما تسمح به ظروف اصدقائنا أعضاء مكتب جبهة التحرير الفيتنامية في القاهرة .

ثم حدث العدوان الصهيوني الامبريالي على بلادنا في الخامس من يونيو ١٩٦٧، فاشتدت حاجتي للتعرف الدقيق على تفاصيل الحركة الأدبية في جنوب فيتنام حيث يدفع الشعب في هذا الجزء من العالم اغلى ثمن يدفعه انسان، للحصول على حريته . وبخاصة اذا كان الفقر والتخلف ابرز سمات المجتمع والحضارة التي يقاتلون في ظلها ما يقال انها « اقوى » دولة في العـــالم . لقد احسست دائماً أن أهم ما يميز المقاومة الفيتنامية ، ليس هو استيراد أحدث منجزات التكنولوجيا بالرغم من أهميتها، وانما هناك عنصران رئيسيان هما: الايمان والتنظيم. وبالايمان العميق والتنظيم القوي ، تكتسب « التكنولوجيا » قيمتها

الحقيقية لأنها حينئذ تؤدي مهمتها على خير وجه . وبالايمان العميق والتنظيم القوي تفرض فيتنام حقهـــا المشروع وقضيتها العادلة على جماهير الرأي العام العالمي . والعلاقة بين الايمان والتنظيم في الثورة الفيتنامية هي علاقة التفاعل والتأثير المتبادلين، بل هي علاقة «الوحدة» التي يعمدها الدم ويدشنها ميدان القتال .. فالايمان بلا تنظيم يثمر شيئاً كهذا الذي حدث في بلادنا مساء ٩ يونيو ، قدرة عفوية تشبه المعجزة ، والتنظيم بغير ايمان يثمر كهذا الذي نراه في معظم بلدان العالم الثالث التي تعرضت لمؤامرات وكالة المخابرات المركزية .

والايمان والتنظيم هما النبض الخالق بين اضلع الكاتب الفيتنامي المعاصر ، هما بمثابة الشهيق والزفير في اعماله الفنية . كان هذا هو انطباعي العام من خلال ما تيسرت لي قراءته قبل أن يبدأ العدوان الاسرائيلي الاستعماري في منتصف العام الماضي . وقد تبلور في وجداني حينذاك أن اشارك بقدراتي المتواضعة بدراسة «أدب المقاومة» الذي اثمرته معارك الحرية في العالم والوطن العربي ومصر. ومنذ اللحظة الاولى كانت فيتنام في خاطري تمثل ركيزة اساسية البحث . واتصلت على الفور بالصديق الفيتنامي المناضل «لى آنه كيت» السكرتير الصحفي لمكتب جبهة التحرير في القـــاهرة ، وشرحت له حاجتي الى اكبر مجموعة من الأعمال الأدبية والفنية بأقلام الكتاب من جنوب فيتنام . ولم يمض وقت طويل حتى وصلني منه

كتاب عنوانه بالانجليزية « الأدب وحركة التحرر الوطني في جنوب فيتنام » يحمل رقم ١٤ من سلسلة « دراسات فيتنامية » .

وتصفحت الكتاب وإذا بي أجدني أمام « ثروة » حقيقية ، تمدني بأكثر مما يستطيع البحث أن يتحمل أو يتسع . ولم يكن معقولاً أو ممكناً أن تحتجب هذه الثروة عن متناول القارىء العربي أو ان تقتصر فائدتها على بضع مقتطفات في أماكن متفرقة من كتابي الذي أعده عن « أدب المقاومة » . فقد طالعت في هذا الكتاب لأول مرة ، الصورة الواقعية للبطولة التي يعيشها الشعب الفيتنامي — والأدباء والفنانون من بين أفراده العاديين — يوماً بعد يوم، وتعرفت لأول مرة أيضاً على جذور الأدب والفن الفيتنامي المعاصر في أعماق التاريخ النضالي لهذه المنطقة من العالم. واتضحت لي أكثر فأكثر معالم « الايمان والتنظيم » التي تضبط ايقاع حركة الحياة في فيتنام .. من ضربة فأس لفلاح عجوز ، الى حفر خندق بثبات السواعد القادرة، الى حمل السلاح ومواجهة العدو، الى انشاد أغنية أو تمثيل مسرحية أو رسم لوحة. في وقت واحد تنعدم الحواجز بين الكاتب أو الفنان وبقية أبناء الشعب ، لأن الكاتب أو الفنان يقوم بكل ما يقوم به أي فرد آخر من حصاد الأرز أو بناء السراديب تحت الأرض أو حمل السلاح ، جنباً الى جنب مع موهبته الفنية « في أوقات الفراغ » وكجزء لا ينفصل من المهام الأصلية الملقاة على كاهله ، وهي مهمة الترفيه عن رفاقه وتدعيم ايمانهم وشحذ

قواهم النضالية . من هنا فنحن لانتوقع بطبيعة الحال أعمالاً رائعة من الناحية الفنية كما جاء في مقدمة المشرف على تحرير الكتاب ، لأن الكاتب أو الفنان الفيتنامي ليس متفرغاً للأدب والفن من ناحية ، ولأن الأدب والفن من ناحية اخرى في حالة تفرغ كامل لمقاومة العدو . على ان هذا لاينفي أن هناك اعمالاً بلغت درجة عالية من النضج والأصالة . لأنها اتخذت من المقاومة مجرد مناخ يكشف انسانية الانسان وجوهره الأعمق،فتجاوزت من ثم الحدود المادية لميدان القتال واخترقت أسوار الزمان والمكان ، وحلقت في آفاق رحيبة لاتحد . بل ان تجربة المقاومة الفيتنامية قد أمدت الكاتب والفنان الفيتنامي في أحيان كثيرة ، بما تبخل به تجربة الحياة العادية ، ويكاد أن ينفرد به الأدب والفن الفيتناميان المعاصران . وذلك أنها « مقاومة » على كافة المستويات ومختلف الجبهات ، وليست مقاومة العدو الأجنبي فحسب ، وان كان هذا العدو هو المصدر الأم لبقية الأعداء من أمثال الجوع والفقر والتخلف. ولما كان الكاتب أو الفنان الفيتنامي لا يكتب « عن » المقاومة ، وإنما هو « يقاوم » بالفعل لا بالقول ، فان أدبه وفنه لا « يعبران» عن المقاومة ، بقدر ما يشكلان جزءاً خطيراً منها هو ما أدعوه « الايمان » . أما أحداث ميدان القتال ومعارك الحياة اليومية ضد الموت ، فان ، نتائجها الحاسمة هي ما أسميها « بالتنظيم » . والوحدة الدينامية العميقة بين الايمان والتنظيم هي سر الأسرار الكامن وراء

أعظم انتصارات العصر ضد أعتى قوى العدوان ، وهي الانتصارات التي تقول انه ليس بالتكنولوجيا وحدها تحيا الشعوب ، وإنما بكل « كلمة » تخرج من فم ابن « الانسان » .

ولا أشك لحظة واحدة في أن آداب فيتنام وفنونها خلال سنوات المقاومة البطولية ضد الامبريالية الامريكية ستضيف الى تقاليد الأدب الفيتنامي العظيم أبعاداً جديدة ، كما ستضيف الى التراث الانساني ما يغتني به على مر العصور والأجيال .

غالي شكري



القسم الأول

أبحاث

مقدمة الكتاب

هنـاك أدب فيتنامي واحد لكل من الشمال والجنوب ، يصدر عن تقاليد عريقة واحدة ، يمده الالهام المشترك لشعب واحد لا يتجزأ يتكلم لغة واحـــدة . ومع هذا ، فقد املت الظروف التاريخية منذ ١٩٥٤ على الشعب في جنوبي فيتنام ان يدخل في غمار مقاومـــة ضارية ضد عدو متوحش هو : الامبريالية الامريكية وخدامها . . بينما كان الشعب في شمال فيتنام قد حظي باستقلاله التام . ان المقاومة البطولية في الجنوب قد ألهمت الكتاب والفنانين في الشمال ، كما أن البناء الاشتراكي في الشمال كان له أصداء عميقـــة في قلوب الفيتناميين الجنوبيين ، وكذلك التقدم السريع للأدب والفن في الشمال كان له اكبر الاثر في التطور الأدبي والفني للجنوب .

وفي غمرة المقاومة الضارية لشعب فيتنام الجنوبية ولد أدب وفن جديدان – بالرغم من كافة الظروف والعوائق المادية الصعبة – يحملان التقاليـــد التي سبق ان ولدت في ظل معركة المقاومة ضد الفرنسيين . والأدب والفن ليسا من الظواهر المطلقة ، بل هما جزء

لا ينفصل من المعركة ، فالشعب المناضل يحتاج الى قصائد الشعر والروايات والأفلام والاغاني كحاجته تماما الى السلاح والطعام . وعندما تفكر في فيتنام لاتتصور فقط القرى التي دمرت والاطفال المحترقين بالنابالم : فحيث توجد الجماهير في المناطق التي حررت ترى الأطفال والبالغين يغنون ويرقصون ويرددون الشعر ويترددون على المسرح ويشاهدون معارض الفن التشكيلي .

ومن هذا الأدب المقاتل نقدم فيما يلي نماذج قليلة : من القصص القصيرة ، ومقتطفات من روايات ، وقصائد . ولقد جعلت ظروف الحرب من المستحيل اعداد قائمة كاملة بالأعمال التي ولدت اثناء المقاومة، فبعضها ينبغي ان يظل راقداً في أعماق «حقيبة الظهر» أو يمر على مجموعات قليلة العدد . وقرب نهاية ١٩٦٥ قررت اللجنة المركزية لجبهة تحرير فيتنام الجنوبية انشاء جائزة « نغوين دنه كيو» ومنحها لأربعة وخمسين عملا متنوعا . وبعض هذه الأعمال قد ترجم الى عدة لغات ولقي النجاح في بلاد أجنبية . وانه لمن العسير على الكتاب والفنانين الذين يعملون يوميا تحت القنابل ان يحصلوا على الظروف الضرورية لانتاج « الروائع » . ولكن كافة الأعمال التي تصلنا من المناطق المتحررة من جنوب فيتنام ، تحمل علامة الأنفاس المحترقة التي تبث في الشعب جميعه روح الاندفاع والنهوض للقبض على زمام حريته . انهم أيضا يحملون بذور الأدب في تطوره المكتمل .

هنـــاك مقال للكاتب تران دنه فانا ـ من اتحاد الكتاب والفنانين – يحلل فيه ظروف تطور الأدب في المناطق المحررة . ولتسليط مزيـد من الضوء على المشكلة يثير قضية الأدب **الوطني** في **نام بو**، **منذ** وطأت أقدام الفرنسيين أرض الوطن لأول مرة . ويتكلم بصورة موجزة عن الأدب « في الأزمنـــة الامريكية » وبالملاحظات القليلة على الجهود الفنية في المناطق المحررة يستكمل هذا العدد * .

(*) العـــدد ١٤ من « دراسات فيتنامية » التي يشرف عليها ويديرها نجوين خاك فيني ،عام ١٩٦٧ – هانوي .



الحياة الادبية والفنية
في المناطق المحررة من جنوب فيتنام

في كل مكان من جنوب فيتنام ، وفي أي وقت ، من الممكن أن تسقط قنبلة هوائية[1] او قذيفة مدفعية بغير انذار . ولكنه في اي وقت في المناطق المحررة حيث توجد العروض الفنية ، في المسرح أو السينما ، تتزاحم الجماهير على مشاهدتها . لنتخذ مثالا من حي كوشي القريب من سايجون . هناك أثناء اشتداد القتال ، أسقط الامير كيون في شهر واحد على مجموعة من القرى تبعد عشرين كيلو مترا عن سايجون ١٨٠ ألف قذيفة مدفعية تختلف أحجامها من ١٠٥ مليمترات الى ٢٠٣ مليمترات . مئات الطائرات قصفت بعنف هذه المساحة كلها ، ولم تترك شجرة واحدة – دع عنك البيوت – في مكانها . ولكن الجماهير وهي تخف الى

(١) نوع من القنابل ينفجر في الجو وتتناثر شظاياه على الأرض .

الخنادق ، ترتبط بأرضها وترد الضربة الى أعمدة الدمار الأمريكية التي أغارت على المنطقة .

وفي نفس الوقت كانت الجهود الفنية على قدم وساق . حتى اذا عادت الغارات الامريكية خرجوا افواجا من دور العرض السينمائي - حيث اجتماعات فن الحرية - مع أشهر الكتاب والفنانين مثل : هيانه منه سينج ، رئيس اتحاد الفنانين الأحرار ، والشاعر جيانج نام . وحينما يتقرر أحد العروض ، يحفر المواطنون الخنادق في النهار ، وتصل الأسر في المساء لتشاهد العرض في هذه الخنادق . وهناك أعداد غفيرة دوماً . ويحدث أحياناً أن ينهار الخندق ، ولكن أولئك الذين حضروا يرفضون الخروج بل يلجأون الى الاسعافات السريعة المعدة ، ويظلون في اماكنهم حتى الخاتمة . والحق أن الفرقة الطبية في حالة الاستعداد الكامل لاجراء اللازم نحو الجرحى .

والآن لنخرج قليلا الى شواطىء النهر حيث السفن في طريقها الى سايجون . ان الامريكيين على الرغم من كافة حملاتهم وغاراتهم لا يستطيعون منـع الهجوم على سفنهم من جانب قوات التحرير . فعلى شاطىء النهر تترامى المستنقعـات التي لا تعوق الجماهير عن الخوض في الاوحال الكثيفة المحاطة بحشود من البعوض .

ومن أجل المناضلين من الفدائيين الذين يستلقون بانتظار القوارب الامريكية ، تقيم قوافل الفن حفلات فوق ظهر سفن « السامبان »

الصغيرة المتجاورة الى جانب بعضها البعض . ويقف المشاهدون ساعات طويلة في الوحل بسيقانهم العارية واعضائهم المغطاة بطبقة من الوحل لحماية انفسهم من عضات البعوض .

هكذا تحيا جماهير الشعب الفيتنامي في المناطق المحررة من جنوب فيتنام . انهم مغرمون بالفن للدرجة التي يتحدون معها الموت ويحتملون الأهوال . تسافر جميع الأسر مسافة عشرة او خمسة عشر كيلومتراً على الأقدام ، وتغامر باحتمال الاصابة بقذائف المدفعية ، لمشاهدة عرض مسرحي . واثناء مهرجان « تت » عام ١٩٦٦ قامت الجماعة الفنية في اقليم لونجان بالتمثيل أمـــام عشرين الفاً من المشاهدين في مكان لا يبعد عن سايجون اكثر من خمسة عشر كيلومتراً ، ولعل اكثر من نصف النظارة قدموا من المدينة ، واندس بينهم الكثيرون من خدم وجنود الحكومة « الدمية » . ولم يحدث قط ان أقام هؤلاء « الاراجوزات » أي عرض في جذب الجماهير طواعية لمشاهدته ، لأن شعب سايجون قد اصابه الاشمئزاز التام من الأغاني والرقص والتمثيل الذي تدب في اوصاله اهداف الحرب النفسية الامريكية .

* * *

وفي مجموعات من خمسة الى سبعة اشخاص يتحرك الفنانون بآلاتهم الموسيقية ، وحاجياتهم الشخصية واسلحتهم ، نحو كل جزء

من اطراف الأرض ، يتبعون فرق المشاة والفدائيين في مواقع نضالهم ، وجماهير الشعب في اماكن عملها . وهم يختفون في الخنادق تحت الأرض ، ويتحركون عبر الممرات السرية الى ارض المعركة فيعزفون قبل أن يثبت حملة السلاح أسلحتهم . وبين كل معزوفتين يعيشون حياة المقاتل ، يحفرون الخنادق ويطهون الطعام ويرتقون ملابس المناضلين ويرعون الجرحى . وعندما تسمح الظروف يرون على مجموعات تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ شخصاً ومعهم قائمة بالأغنيات المختلفة . الأدباء وكتاب المسرح والفنانون التشكيليون والسينمائيون والمغنون والممثلون ، جميعهم يحيون حياة المقاتل ويحاولون ، قدر طاقتهم ، ان يقيموا العلاقات الوثيقة بين هذه الصور المتنوعة والقتال الضاري .

وهم يعثرون غالباً - فوق ارض المعركة - على « الالهام » الذي يساهم في كتابة قصائدهم وأغنياتهم وتمثيلياتهم . وقد حدث في كوشي أن ألف (هينه منه سينج) أغنيته «دعونا ننزل الى الطرقات» ، وكتب نجوين ثلاثة اسكتشات: «الارض» و « الماء » و «الربيع» ، وتعبر جميعهـا بصورة طيبة عن ارادة الشعب المصمم على القتال والنصر . وقد اتم « نجوين في » مؤخراً مسرحيته « الفدائية » مستلهماً قصة المرأة الكوشية المناضلة التي شاركت في محاصرة اللواء الامريكي جنباً الى جنب مع رجال الاقليم . وتدل الوثائق المأخوذة من الامريكيين على الرعب الذي أدخلته عليهم هذه الفتاة ، القناصة

الماهرة ، مما ساعد الكاتب على اضافة شيء من السخرية اللاذعة الى مسرحيته .

والعاملون في السينما يجازفون بأرواحهم وهم يتتبعون في دقة العمليات الحربية والمقاتلين . وأشهر الأعمال الفذة لصفوة المقاتلين : باي ني ، فوتهي مو ، نجوين تهي جانج .. وغيرهم ، صورت في مواقعها . لقد تسلل هؤلاء الرجال ايضاً الى المدن التي يسيطر عليها العدو ليصوروا النضال السياسي والمسلح للشعب . بل ان المصور السينمائي كان يصل احياناً الى مطارات العدو ليصور اقلاع الطائرات وهبوطها . ولا شك أن الظروف المحيطة بتصوير هذه الافلام لا تسمح لها بانجاز مستوى تكنيكي مرتفع ، ولكن أهميتها الوثائقية والتاريخية لا نظير لها . وقد نال بعض هذه الافلام ميداليات في مهرجانات عالمية . وفاز فيلم « معركة دونجكسوي » بميدالية ذهبية في مهرجان ليبزج .

خلال عملية جني الأرز (يناير ١٩٦٧) استخدم الامريكيون اسلحة مضاعفة لدك الارض في مدينة بنساك التي يسكنها حوالي عشرة آلاف مواطن . ولكن قوات التحرير وأفراد الشعب قاتلوا بضراوة ، ثم عاد اهل بنساك الى مدينتهم ليعيدوا بناءها . وعلى الفور اقبلت جماعة (فن الحرية) وقدمت مسرحية « الارض » التي أثارت حماس الجماهير وقوت عزمها على التشبث بالمدينة .

وقد لا ترضى الجماهير بمتابعة المشاهد ، ولكنها في كل مكان تكوّن جماعات فنية تخلق لنفسها المشاهد والتمثيليات التي تعجبها . هناك حركة عظيمة من مختلف فئات الشعب قد تطورت في المناطق المحررة ، تؤكد حاجتها الكبرى الى كل فن يعبر عن مشاعرها وحقدها وأملها ونبضات قلوبها . ومن هنا اصبح الفن ضرورة ،بل ضرورة حيوية ، فالتعبير الفني ليس معزولاً عن حركة المقاومة من أجل الحرية .

ولنتخذ مثالاً آخر من قرية « م » من اقليم لونجان . لقد اختار ما كنارا هذا الاقليم الموصل الى سايجون كمفتاح الى منطقة « السلام » . وحينئذ استهدفت القرية لما يليق بهذه المناسبة من القنابل وقذائف المدفعية . وكانت هناك ثلاث جماعات فنية ، احداها للبالغين ، والاثنتان للأطفال . وكان الشعار هو « أرض للمسرح ، ومصباح كيروسين » بمعنى أنهم على استعداد لتقديم العروض في كل مكان ، في احد الابنية او في طريق جبلي ، في ضوء مصباح كيروسين . وحتى عندما كان العدو لايزال مراقباً لجزء هام من الاقليم ،وعندما كان معظم السكان تقريباً في السجن، قدمت الجماعـــة الفنية عروضها . ومن بين ١٦٤ فقرة في لائحة الأغاني ، كانت هناك ٦٧ اغنية قد ألفها كتاب محليون .

عندما يكون ضرورياً أن تعرف الجماهير بانتصار ما ، أو أن تذاع بعض تعليمات الجبهة ، او تثار حمية الجماهير وحماسها ،

فان فنانينـــا يشرعون على الفور في تأليف الاغنيات والاناشيد والرقصات ، وبعد جهود جماعية شاقة ومضنية ، تقدم الجماعات فنها أمام النظارة المتحمسين . وتتراوح مدة العروض - في اي مكان - من ربع ساعة الى بضعة ايام . وذات مرة اقبلت احدى الفرق الى قرية صغيرة ، كانت قد امضت ليلتها السابقة تحت وابل من قذائف المدفعية التي قتلت عائلة كاملة من سبعة افراد . وبعد زيارة المكان والتحدث الى اهل القرية المدمرة ، تأهبت الفرقة للعمل . مسرحية صغيرة اسمها « الالتزام الدموي » ، قـُدمت أمام الآلاف المحتشدة من المشاهدين الذين تغلي قلوبهم حقـــداً على العدو . وصاح المناضلون « لنثأر لمواطنينا . الموت للخونة » وتابعت الجماهير التمثيل بعيون دامعة . المهرجانات ايضاً وحفلات الزفاف ، من المناسبات التي يتوجه فيهـــا الفنانون الى الشعب الذي يشارك مشاركة فعالة في « خلق » اعمالهم .

* * *

من هذه الحركة العظيمة ظهر اكبر الأدباء والفنانين ، وهم الآن على درجة عالية من الشهرة في وطنهم ، وبعضهم نقلت اعمالهم الى اللغات الاخرى ، وبدأت اسماؤهم تشق طريقها الى العالم الواسع .

كان « جيانج نام » في السادسة عشرة من عمره حين بدء المقاومة ضد الفرنسيين . وقد عمل في البداية بمكتب الاستعلامات

التابع لاقليم خانهو، حيث الارض مجدبة ، والحياة شاقة ،والطعام نادر . واقبل الغزو الامريكي . وفي المدن ، وفي ظل الحكومة الدمية ، عمل سائقاً وعاملاً في الزراعة وأميناً لمكتبة . ثم انخرط في سلك المقاومة الجماهيرية ، حيث كتب قصائده . ولقـــد دخلت زوجته السجن مع طفله الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره ، بينما كان هو يناضل في المعارك الكبيرة . وفي عام ١٩٦٥ عزم الامريكيون على مسح « كوشي » في عملية كبيرة كما ذكرنا من قبل . وتوجه « جيانج نام » الى هناك ليكتب مقالة «ارض النار» ، ثم لحق بالمقاتلين في اقليم « كوانج نام » ليشترك في تطويق قاعدة الامريكيين البحرية في دانانج ، وكتب حينئذ العديد من القصائد والقصص . وعاد بعد ذلك الى اقليم لونجان بالقرب من سايجون ، حيث عمل في صحيفة محلية ، وجمع بعضاً من قصائـده الاولى .وفي قصته « في الجبهة » أشاد ببطولة الفنانين في لونجان .

(وذات مرة انفجرت قنبلة على بعد ثلاثة أمتار من مخبئه ، وبعد ساعة واحدة كان يتناول الطعام مع مجموعة من الفنانين من لونجان ، وانفجرت قنبلة أخرى فوق المنزل الذي يقيمون فيه ، ادت الى انهياره . وتحطمت الآنية والقدور واحترقت الملابس ، و « لم يبد الرفاق أقل انفعال » هكذا كتب « جيانج نام » في احدى رسائله الى اصدقائه . لم تتخذ النسـاء اماكنهن في المخبأ . وقـــد عنفهن

لتقصيرهن . فقالت له الممثلة والمؤلفة تيوت « اننا سنذهب الى المخبأ عندما نرغب في ضجعة القيلولة ، ان القنابل لن تسقط علينا في كل وقت » تيوت وصديقها الصحفي نهام كانا في المخبأ عندما سقطت عليه قنبلة نابالم » وبعد خمسة أيام ، يقول نهام « كنا لانزال نشعر برئاتنا تحترق ، وتنفسنا يختلط برائحة البترول » وقد ظلا على هذا النحو تحت الرعاية الطبية شهوراً طويلة .)

هذه هي الحياة التي يعيشها كتابنا وفنانونا ، انهم مناضلون كالآخرين . ومنذ عام ١٩٤٥وشعب فيتنام الجنوبية يقاتل من أجل الحرية . وابتداء من اصغر المقاتلين الى الضابط الكبير ، ومن الفدائي الى الكاتب ، لايتقاضى احدهم اجراً ، جميعهم يعيشون بين الجماهير ويشتركون في الانتاج، ويشاطرون الشعب افراحه وأساه . وكأي انسان آخر يقسم الكاتب والفنان وقته الى ثلاث فترات متساوية : الأولى لحفر الخنادق ، والاخرى لانتاج الطعام ، والثالثة لحرفته الخاصة . وتحت الأرض تستخدم المخابىء كالمنازل سواء بسواء في اللقاءات وعقد المؤتمرات . إن اكتساب المهارة في صنع المخابىء يصل بين الجميع برباط لاينفصم ، حتى انك اينما توجهت تجد حفر الخنادق اول ما ستقوم به . وتأتي زراعة الارز والذرة والصيد وصنع الشباك في المقام الثاني . وبعد حفر المخابىء والعمل الانتاجي ينفق الكتاب ماتبقى من وقتهم في الكتابة . وفي الاقاليم

ذات الأرض البور ، أو حيث يحكم العدو قبضته على الجزء الرئيسي من الاقاليم ، فان امدادات الطعام تصبح مشكلة كبرى .

(نجوين ترانج سانه) مؤلف قصة « غابة اكسانو » و(فان تو) مؤلف قصة «العودة» و(نجوين تشن ترانج) مؤلف « رسالة من قرية ماك » امضوا جميعاً ستة اشهر في زراعة الأرز والبطاطا . وخلال السنوات الواقعة مابين ١٩٦٢ و ١٩٦٥ كان على الشاعر (فان منه داو) ـ الذي كان يعمل في منطقة شاقة ـ ان يتغذى على اوراق النباتات وأليافها لشهور طويلة . وتولد الاعمال الادبية والفنية في هذا المناخ معبرة ، بصورة او باخرى ، عن التفاؤل المتألق ، والحب العامر للحياة ، عاكسة المشاعر المضطربة في قلوب الشعب ومقاتليه .

والهضاب المرتفعة ، حيث يترسب الملح ، لاتمنع (نجوين تشن ترانج) من كتابة «رسالة» من قرية «ماك» يحكى فيها كيف ان سكان احد القرى الكائنة في المرتفعات لم يدب في قلوبهم الخوف من الطائرات وتسلحوا بمسدسات صغيرة . وقد طبعت هذه القصة في يناير ١٩٦٥ فحققت نجاحاً في القرى الجبلية التي انبثقت عنها حركة مقاومة تنافس بها قرية ماك .

ان العمل الانتاجي والاخطار والمسرات التي يتقاسمها المناضلون مع كافة فئات الشعب ، قد ساعدت الكتاب على النفاذ الى قلب الواقع الخصب غير المحدود . ورواية « دون هات » التي اكتسبت

نجاحاً عظيماً خارج الوطن ، كتبها « انه داك » بعد اعوام طوال من الحياة العسكرية في البر الغربي من دلتا ميكونج . وكان عمله اليومي قد تحدد في تحرير النشرة الادبية للاقليم وكتابة المقالات في صحيفة محلية ، وادارة مطبعة وصحيفة متنقلة . وكانت مطبعته ومكتب النشرة في مكان يتوقـع سقوط القنابل عليـــه . وعندما يتيسر له بعض الوقت كان يكتب هذه الرواية . كان عمره عشر سنوات — وذلك منذ عشرين عاماً — حين بدأ يتعود على الحياة تحت وابل القنابل وقذائف المدفعية . وقد بيعت من الطبعة الأولى لروايته الف نسخة على الفور . ثم اعيـد طبعها في هانوي حيث وزعت منها مئات الالوف من النسخ . وهي تتمتع الآن بشهرة واسعة .

(نجوين داك سوان) أمضى ست سنوات في سجون سايجون ومعسكرات حكومتهـــا العميلة ، حيث كان « الناصحون » الامريكيون يجرون اختباراتهم ومناهجهم في التعذيب ، مصممين على تقويض اخلاقيات الثوار المقاتلين باستنكار مبادئهم . ويتضمن التعذيب كافة اشكال الامتهـــان البدائي المتوحش ، وكذلك ابشع الوان « التطهير » الخلقي . ولسنوات طويلة قـــاوم المئات من الرجـال والنساء هذا القهر . وقد ساعدت الانفجارات التي حدثت ضـد نظام الحكم في سايجون عام ١٩٦٣ (نجوين داك سوان) على اطلاق سراحه . وفي قصته « النصر » يروي لنا بالتفصيل

هذه التجربة في مئات عديدة من الصفحات التي كتبها في اسلوب نثري دقيق وواضح ، فقد وصف كيف يفقد الناس ضميرهم البشري ويتحولون الى وحوش مفترسة ، ومن جانب آخر ، كيف استطاع الثوار بافكارهم النبيلة ان يتحملوا عناء هذه المحن المروعة . . والقصة ، في حدود علمنا ، تعد عملاً فريداً من نوعها .

لقد تطور فن الرسم على نفس الطريق . ولاشك انه يستحيل علينا ان نتخيل انه من الممكن ان يكون هناك « رسم » تحت القنابل وبين الادغال وتحت الارض في الخنادق ، ومع ذلك فالرسامون بحقائبهم التي يحملونها على ظهورهم يتابعون فرق المشاة وينصبون حاملات اللوحات اينما وجد الناس والمناضلون الذين يعملون ويقاتلون . والى جانب هذا فالمناضلون يساعدونهم في حمل امتعتهم ويهيئون لهم المخابىء المناسبة لقيامهم بالرسم . وفي اثناء كل وقفة يعلق الرسامون اعمالهم على الشجر امام المقاتلين ليروها ويبدوا ملاحظاتهم عليها . والمناضلون والوحدات ، يؤثرون في الاغلب اعمال احد الفنانين ، ويتعلم المناضلون على ايدي المصورين كيف يرسمون .

وقد اصدرت دار التحرير للنشر مؤخراً مجموعة من الاعمال المطبوعة عن صور ستة من الفنانين هم : كوتان لونج شاو ، ولي فان شونج ، وهوينه فونج دونج ، وساي ها ، ولي هونج هاي ، ونجوين

فان كنه . وكل من هذه الاعمال – سواء كانت اسكتشات او بالألوان المائية أو قلم الرصاص او الزيت – يعكس ذاتية كل فنان الى جانب تعبيره عن نضالية الشعب وتفاؤله . ان وجوه المناضلين والفدائيين والنساء والاطفـــال الذين قاموا بواجبهم في القتال قد امتلأت بالدهشة المعبرة هي والطبيعة الحية التي غمرها الحب ، حتى ليشعر الانسان ان الوطن والشعب يتدفقان حياة .

قال أحد كتابنا «لكي تلتقي بالأبطال ، كل ما عليك ان تخطو خارج بابـك » . ويصح هذا القول تماماً على نضال الشعب الفيتنامي في الجنوب ضد العدوان الامريكي ، حيث يتطلب الأمر بطولة عظمى لا من القوات المسلحة فحسب ، بل من كافة فئات الشعب . وليس على الكاتب إلا أن يلتفت حوله ليكتشف الشخصيات الجديرة بالمجد في أولئك الذين تحفل حياتهم اليومية بأكبر الأعمال . فهناك موضوعات ومحاور فنية مكتملة . والناس البسطاء يحكون كيف استطاعوا انقاذ آبائهم واصدقائهم ، وهي مادة كافية لكتابة نص شديد المرارة مثل : « رسائل من جنوب فيتنام » – الذي ترجم الى لغات عدة . وقد كتبت هذه القصة ارملة نجوين فان تروي عن الأيام الأخيرة التي عاشتها مـــع زوجها فجاءت عملا أدبياً حقيقياً تحت عنوان « كما كان » أو « الطريق الذي سلكه » ، وقد ترجمت الى عـدة لغات أجنبية . وليس على الكاتب إلا ان ينفذ الى حياة

بطلات مثل اوت تشن أم الستة، والفدائيةالنموذجية، او تانهي كيو الشابة التي أدت العديد من الأدوار في أحداث العمل الفدائي، ليحصل على موضوع جميل. هنا يرتبط الفن بالحياة وينبثق منها، فيخصب النضال اليومي من جديد.

كتب كوك هانه ضابط وحدة قوات التحرير التي أبادت الاورطة الأمريكية في معركة «نهادو بونج ترانج» الى جماعة الجيش الفنية يقول: «كان هذا النصر مناسباً لشجاعة مقاتلينا، ولكنه كان مناسباً ايضاً لجماعـــة الجيش الفنية، «إذ ساعدتنا على تقوية العزم والتصميم على الثأر لموتانا وتحرير أرضنا».

قال كاوشاو، رجل المدفعية الذي احرزت وحدته العديد من الانتصارات الى الفنانـــين الذين مثلوا امام وحدته: «بعد أن احتفلنا، تسلمت وحدتنا امراً بالهجوم على قاعدة فولوي الجوية، ثم اقبلت معارك بابانج ودانكوك. وقد نال معظم رفاقنا تقدير القائد الأعلى. فزنا بالميدالية العسكرية. اننـا لن ننساكم، فنحن نعتقد أن أغنياتكم ومسرحياتكم نفخت روحاً قوية في قتالنا، لهذا فاننا نكن اعترافاً عميقاً بالفضل»

إن أعظم مكافأة للكتاب والفنانين هي ان يتلقوا أمثال هذه الرسائل، والفدائيون والمقاتلون في جيش التحرير والقوات الأمامية، او هذه التي تعيش في المؤخرة، جميعهم يكتبون الى الأدباء والفنانين

يشكرونهم ويرسلون اليهم ادق الذكريات . وعندما يسيطرون على إحدى قلاع العدو ، لاينسى المناضلون أن يأخذوا على سبيل التذكار جيتاراً او آلة اوكورديون يرسلونها الى الفنانين ، او بقايا طائرات الهيلوكوبتر والباراشوتات التي يمكن أن تصنع منها الآلات الموسيقية او مقاعد الفنانين ، وبعد ان يصغي صبية سايجون وبناتها الصغار الى الراديو ، او يقرأوا في السر أعمال الشعراء من أمثال جيانج نام يتوجهون الى المناطق المحررة ويبدون رغبتهم الحارة في لقاء المؤلفين ليحدثوهم عن أعجابهم وامتنانهم .

والكاتب الذي يستحق هذا الاسم ، كما قال أحد رفاقنا ، يعرف جيداً كيف يستخدم قلمه في تدعيم المقاومة الوطنية . ومنذ قرن مضى حين بدأت القوات الفرنسية تجتاح فيتنام ، كان أعظم الاكاديميين الوطنيين - نجوين دنه شيو - يعتبر أن أنبل أهداف الأدب تقوية روح النضال . والكتاب والفنانون اليوم ينتمون الى هذا التيار باثرائه دوماً بكل ما لعصرنا من مضمون ثوري .

ان رجال الفن والثقافة في جنوب فيتنام ، اتخذوا موقفاً واضحاً من الاستقلال القومي والحرية، ضد الخيانة واذلال الدولار. والاعمال التي ولدت في غمرة المقاومـــة حققت وعداً أكيداً بمستقبل مضيء .



نجوين فان موي :

فن الرسم
في المناطق المحررة من جنوب فيتنام

ليس من الدقـة التحدث عن فن الرسم في جنوب فيتنام بالمناطق المحررة بغير أن نضع في الاعتبار التقاليد الوطنية التي تطورت خلال المقاومة ضد الفرنسيين .

في بداية المقاومة استبدل معظم الرسامين الفيتناميين في الجنوب ريشهم بالبنادق . والقليلون منهم فكروا في رسم سكتشات أثناء العمليات العسكرية . ولكن مع ظهور قواعد الفدائيين الصلبة ، والحاجة الى ثقافة اعلامية وسياسية ، نُظمت فصول الرسم على فترات قصيرة . وحينئذ ، بعد كل حملة عسكرية ، أصبح من المعتاد تنظيم المعارض للرسم والسكتشات المأخوذة في الموقع ، في خضم المعركة .. وكذلك الاعلانات والكرتون الهزلي والمشاهد الواقعية للمقاومة : التطوع للخدمة العسكرية ، تقديم الأرز كنوع من الضريبة ، العمل الدعائي في صفوف العـدو .. الخ ، وتقوم

صحافة الأقاليم بطبع الرسوم الملونة. صور تيت (لونار - نيويورك) والرسوم ذات الاسلوب الجديد الفاتن ، بيعت ككل في مختلف الأعياد والمهرجانات والمناسبات السارة .

وقد تطور فن الرسم تطوراً دافقاً بالحيوية على الرغم من أنه لم تكن هناك موضوعات « عظيمة » للرسم ، ذلك أن ظروف الحرب لم تسمح للفنانين بذلك . ومع هذا فان الأعمال القيمة قد أنتجت وذاع صيتها على نحو لم نكن نقـــدره . ولنقدم مثالا من سكتشات « ديب منه شاو » التي رُسمت بدماء الفنان : « معركة جيونج دوا » ، « الرئيس هوشيمنه والأطفال » و « الفدائيون »، وصور نجوين نيم : « معركة تام فو » ، « صلة الجاسوس الآثمة » ، « بناء سد » ، ورباعية « الربيع والصيف والخريف والشتاء » لهوانه فانه جام . واكتشف الفنانون الشباب من خلال سكتشاتهم الحية ، ومن بينهم نجوين مي فنه ، هوانج كونج نهان ، نجوين سانه لونج ، هانج سانه . .الخ. . إننا لا نستطيع أن نرى بغير هذه «الشواهد» ، على مدى مقاومتنا ، أثمن مالدينا ، فقد تابعها أولئك الفنانون خطوة خطوة ، ومن خلالهم يستطيع المرء أن يرى وجه النصر يوماً بعد يوم ، دون أن نذكر قيمة أعمالهم الفنية الحقيقية .

وعلى أثر « سلام» ١٩٥٤ جاء معظم المصورين الى الشمال . واعتقد الشباب الذكي الموهوب الذي مكث في الجنوب أنه يستطيع

في النهاية أن يهب نفسه تماماً للفن والتفرغ له . ولكنه كان «سلاما» زائفاً سرعان ما تقهقر على يدي « نجو دنه ديم » عميل الامبريالية الامريكية الذي قمع بوحشية كل معارضة. وتمكن التصوير الوطني وحده من أن يواصل مسيرته الى الأمام مع ميلاد جبهة التحرير الوطني والحركة الثورية التي تمكنت في النهاية من اسقاط دكتـــاتورية نجودنه ديم عام ١٩٦٣ . وبدأ تطور عنيف مدعم بالمشاركة الجماهيرية. ومن جديد نُظمت الدراسات التدريبيـــة تحت اشراف فنانين متمرسين . وانتشر اصحاب المواهب الجديدة على طول الجبهة ، وقد امتزجوا مع الشعب في رفقة السلاح، يؤدون عملهم كدعاة وصحفيين ومراسلين حربيين . وأقيمت آلة الحرب الامريكية الضخمة في جنوب فيتنام ، حيث اتخذت وضعاً خاصاً ازاء مواطنينا ، وبالنسبة لرسامينا على وجه خاص، وكانت تبدو كما لو كانت مشكلة بغير حل . ومع ذلك فقد اجتاز المواطنون معظم المحن المريرة وقاموا بأدوار متعاظمة في مختلف الانتصارات الشاملة التي احرزتها قواتنا المسلحة، وهم يقاتلون أثناء الدراسة ويتابعون الملاحظة الدقيقة ، ويعكسون في آلاف الصور المشاهد الهائلة لمقاومة الجماهير البطولية .

والسكتشات التي وصلتنا من جنوب فيتنام تحمل الشهادة على نجاح اصحابها: كوتان لونج شاو ، لي فان شونج، هيونه فونج دونج، ساي ها ، لي هونج هاي ونجوين فان كنه . وكانت ثمار تجوالهم في

طول البلاد رسومهم التي بلغت ٣٠٠ بالقلم الرصاص والحبر الصيني والفحم، وهي بنفس جودة أعمالهم بالألوان المائية والزيت التي تعطي صورة حية لأولئك الذين تتعاظم احجام مقاومتهم العملاقة في اطار من الطبيعة الكريمة المفعمة بالنور . وتساعدنا هذه الاعمال اكثر من الريبورتاجات والقصص القصيرة والروايات، بل والأفلام التسجيلية، على رؤية النور الداخلي في شخصية البطل، والملامح الخاصة للاقليم .

لنقلّب هذه الصور الاكثر نجاحاً لهيونه فونج دونج : « السيدة هايدو » وهي مناضلة متحمسة رأت طفلا يُباع لاقطاعي مقابل عشرين قرشاً، فنذرت نفسها لخدمـــة الشعب مدى الحياة، و « الأم هاي من اكسوم شام» التي حالت بوقوفها زمناً طويلا أمام « م ١١٣٠ » دون تدمير بيوتها ، و «الأم موي، من تان فوك تاي» التي ظلت تمد قواتنا بصلابة ودون تقهقر تحت وابل من نيران العدو ، و « الأم موي ، من مي بنه» التي أنقذت قوات المقاومة خمسا وخمسين مرة أثناء « السنوات السود » ، و « السيد با » الذي أبدى شجاعة نادرة أمام العدو ، و « السيد هاي سانج » والد الأسرة الجريح ، و « السيدة ترانه ، من بن ترى » التي « ادت دوراً في ٤٢٥ مظاهرة سياسية ، و « الفدائية كاثي » ، و « السيدة ياهونج » التي تميزت كفاءتها في معركة بنه جيا ولاي الصغير ، و « امر بالهجوم » و « الرفيق خونج » في بنه جيا ، و « القتـــال حتى النهاية » بريشة

كوتانلونجشاو و «نجوين فان ني» مناضل مختار »بريشة ليفانشونج و « الكتابة الى العائلة » بريشة ساي ها .. الخ .

وفي أغلب الاساليب المتنوعة تعالج هـذه الاعمال الابعاد المركبة للانسان الجديد ، روحـه غير القابلة للخضوع وشجاعته وتضحيته بالنفس وحقده المشروع على المعتدين . هذه العناصر جميعها التي يمكن رؤيتها في نور عينيه والتعبير العالق بشفتيه . ان الفنانين يكتشفون في لمساتهم الرقيقة خصائص نماذجهم ، أفكارهم ومشاعرهم العميقة . وهكذا ، ففي لمسات قليلة بسيطة تمكن هيونه فونجدونج من أن يكتشف بضربات فرشاته الوجه الصادق لماي ـ هاي : رأسها الى أعلى ، عيناها تشعان ، شفتاها ترتعشان بالغضب . وفي سكتشات أخرى (السيدة باهونج ، المظاهرة ، الفدائية كاي شي) حاول ، من جهة ، أن يبرز جمال الشخصية وأن يصل بين البساطة العظيمة في القلب ، والثبات العجيب في العقـل . ويعالج كوتان لونج ايضاً في جدية مشاهد القتال : « القتال حتى النهـــاية » و « أمر بالهجوم » و « الرفيق خونج في بنه جيا » حيث دمج أغلب الدقائق الملموسة في وحشية القتال بمشاعر الفخر والصفاء الهادىء للمقاتلين ، بعزمهم على الهجوم كلما تأكد لديهم صواب الضربة . ان اختباراً طويل الأمد يكشف تفاصيل جديدة تساعد على ترجمة وطنية الشعب في فيتنام الجنوبية . والمرء يعي تماماً أن أولئك الرجال والنساء لديهم القدرة

على مواجهة عشرة أضعاف قوة العدو ببسالة وانتصار ، بحيث أنه لا القنابل ولا المذابح تستطيع أن تطردهم من قراهم ، فمعظم غارات الامريكيين تنتهي بإذلال المعتدين. ان المرء ليحالفه التوفيق في استشراف هذه الأرض الملحمية المليئة بالأبطال اللامعين ، حيث تجد فدائياً بسيطاً في الخمسين من عمره مثل كوشي ، عندما يسمع أن العدو قادم لايتملكه الخوف ، لأن المتوقع هو أن يتكبد العدو هزيمة جديدة .

وتصدر المناظر الطبيعية عن نفس الروح . فصورة « تدمير مدرسة لنه فونج » ترينا اكداس الدمار التي بقيت من آثار الكتب والأدراج . وكذلك لوحتا « انفجار القنبلة » و «الامريكيون بقوا هناك» تجعلان الانسان يرتعد حقداً على وحشية هؤلاء البرابرة الجدد . وفي « محاصرة القلعة » على الطرف الآخر ، يؤكد الفنان بالكتل الحمراء العريضة نيران الثأر التي تجتاح البيوت والتحصينات التي يلجأون اليها ، و«في بستان شجر الكاكي» و« في الغابة»و«منزل في ظلال شجرة الكاكي » و « على شاطىء النهر » و « سوق نهات تاو » و « ميناء سوم البحري » الخ .. يتغنى بالمناظر الطبيعية الجميلة في جنوب فيتنام،وهي تستحم في الأضواء . ان زرقة السماءالعجيبة، وسحابة من بياض غير حقيقي ، وأشجار الكاكي بأطرافها الخضراء المضيئة ، والأضواء الذهبية المرتعشة وقد انعكست فوق سطح

النهر ، وحشد من القوارب ، وسطح كوخ صغير انعكس على مياه جدول .. كل ذلك أعد بمهارة وحذق . ان محبة الوطن تشع من كل رسم وتصوير ومن كل ضربة قلم ، ومن كل لون في خط ، هذه هي الحياة الحقيقية في نضال فيتنام الجنوبية التي تظهر أمام عيوننا الحياة المنتصرة التي تتحدى بشاعة العدو المتوحش .

وبمولد نيران الحرب وتعاظمها ، يتطور فن التصوير الفيتنامي في الجنوب بالمناطق المحررة مستمداً غذاءه من المصدر الرئيسي لكل فن : الجماهير . وتتفتح الآفاق المضيئة أمامه ، ولسوف يضيف الى الفن القومي بغير شك تنوعاً فريداً وعظيما في آن .

سافان سنه :

الأدب الوطني في نامبو (*)

خلال ستينات القرن التاسع عشر

شاهد عام ١٨٥٩ الهجوم الأول للزوارق المقـــلة للجنود الفرنسيين عند جيادنه (سايجون الآن) وقد هزمت على الفور الجيش الملكي الفيتنامي . وقبل الملك المهزوم ومعه كبار رجال بلاط هيو (سلاماً) عرف بمعاهدة ١٨٦٢ التي سلمت بمقتضاها لفرنسا الأقاليم الثلاثة الشرقية لنامبو (التي تبلغ في مجموعها ستة أقاليم) . ومن أجل الاستعماريين الفرنسيين حددت معاهدة ١٨٦٢ قاعدة يتم فيها تنسيق وضع الفاتحين الأول ، والإعداد لآخرين جدد . وفي عام ١٨٦٧ عاود الفرنسيون الهجوم ثانية واستولوا على الأقاليم الثلاثة الغربية لنامبو ، وهكذا تمت هزيمتها الكاملة .

(*) كانت تدعى فيما سبق Cochinchina وتشتمل على دلتا نهر ميكونج ووادي نهر دونج ناي .

كان النظام الملكي الفيتنامي أكثر قلقاً على الاحتفاظ بامتيازاته من حرصه على سلامة الاستقلال الوطني ، وفي السنوات القليلة التالية تخلت الملكية الفيتنامية عن سيادتها بموجب « الحماية » الفرنسية عام ١٨٨٤ . واستقبلت خيانة الاقطاعيين هذه بمرارة واشمئزاز من جانب عامة الشعب التي كانت الملكية بالنسبة لها ـ لقرون عدة ـ رمزاً للوحدة الوطنية والاستقلال . وفي وقت مبكر بعد الهزائم الأولى للجيش الملكي (١٨٥٩) نهض الشعب في نامبو ليقاتل المعتدين دفاعاً عن استقلاله القومي . ولم يطع أحد أوامر البلاط الخاصة « باقامة السلام » مع الفرنسيين . وفي كل مكان تكونت كتائب المتطوعين والمنظمات الوطنية لإعداد الفدائيين المناضلين ضد الأعداء ، وظلت الأمور هكذا حوالي عشرين عاماً .

ولقد اعترف الضباط والمؤرخون الفرنسيون أنفسهم بصلابة الشخصية الجسورة العنيدة لهذه الحركة الوطنية الشعبية .

وكتب الضباط الفرنسيون في مؤلفهم « التاريخ العسكري للهند الصينية » : « ان هزائم الجيش الملكي لم تؤثر قط على موقف التمرد في الأقاليم المحتلة » . وكتب بالودي لاباريير كشاهد عيان في مذكراته « تاريخ الحملة العسكرية على Cochinchina عام ١٩٦١ » ما يلي بالحرف : « الحقيقة أن مركز المقاومة كان في كل مكان ، فقد قسمت هذه المراكز الى عدد لانهائي وغير محدود ،

فحيثما وجدت الفيتناميين ، يمكنك ان تعتبر الفلاح الذي يربط حزمة الأرز مركزاً للمقاومة » .

ان قادة حركات التمرد ومجموعات المناضلين ، كانوا من المثقفين الوطنيين الذين رفضوا إطاعة أوامر «السلام» الملكية ، شعبيين وأكاديميين . وكان آخر التشكيلات لمثقفي فيتنام القديمة ، هم أولئك الذين كانت نصيحتهم قد حظيت بانتباه الجماهير وحرصها خلال التاريخ الفيتنامي ، إذ كانوا المتحدثين بلسان الشعب . وفي السنوات الباكرة من الهزيمة حاول الاستعماريون الفرنسيون أن يكسبوهم الى جانبهم ، وان يشدوا وثاقهم الى ادارة محلية تتمتع بتأثير شعبي ، ولكن غالبيتهم رفضت التعاون مع العدو وفضلت الفقر مع الحياة الكريمة على الخيانـة .

وفي هذه الأثناء ظهرت أغنيات وطنية بين جماهير المقاومة كانت غفلاً من التوقيـع ، وبين جماهير المثقفين تطور الأدب حقـاً تطوراً يُعلي راية الشرف الوطني ، ويحرّض الشعب على القتال ويرفع من قيمة الاستشهاد ، ويحقر الخونة ويفضح جرائم العدو . ومرت هذه الكتابات من يد الى يد حيث كان يُعاد نسخها وتوزع على الاقاليم المختلفة . وكان معظمها شعراً وأقاصيص شعرية ونثراً شعريا يحفظه الناس على الفور ويتناقلونه شفاها من قرية الى أخرى ، ومن جيل الى جيل .

ولكي نعطي القارىء فكرة عن هذا الأدب سوف نقدم فيما يلي بعض المقتطفات .

أولا وقبل كل شيء ، كانت هناك نداءات للقتال ، وغالبية النثر والشعر الغفل من التوقيع ، تستلهم تقاليد النداء الذائع الصيت للجنرال ترانج هونج داو (القرن الثالث عشر) الذي حرض قواته في عزم وتصميم على هزيمة الجيوش المغولية المعتدية ، مع الفارق بأنه في هذا العصر لا يتم التحريض من جانب السلطات الرسمية بل من الجماهير نفسها . وفي بداية العدوان الفرنسي أعلن نـــداء واسع الانتشار :

« طريقنا [1] تضيئه الشمس والقمر ، ولن ندعه يتلوث
بالفئران والغربان .

أنهارنا وجبالنا تبرق هالاتها المقدسة ، ولن ندعها تتلوث
بالنعاج والكلاب .

لنا ملك وأهل ، أزواج وزوجات عاشوا في سلام ،
والأمر الأخلاقي يرمز سلفاً الى سعادة كل منا .

وفي أرضنا حيث عاش أجدادنا ، كانت بيوتنا هادئة ، وجميلة
عاداتنا وأخلاقنا .

---

(١) الطريق : هو المبدأ والمذهب الكونفوشيوسي .

ولكنهم جاءوا هنا ، قساة هم وشرسون ،

حداد ودمار في كل مكان .

اينما نظرنا الى البخور المحترق ، أو رشفة شاي ،

او استقرت عيوننا على بوصة ارض او غصن أخضر

ثقبت قلوبنا اللوعة والأسى .

والأسفاه إبنادقهم المزدوجة الطلقات أودت بنا الى

الخراب الفظيع

ورايتهم المثلثة الألوان هي علامة البربرية » .

في عام ١٨٦٢ ، بعد أن سلم البلاط ووقع على المعاهدة التي تمنح فرنسا ثلاثة أقاليم من نامبو ، حرض ترونج دنه - رئيس الديوان الملكي - الشعب على عصيان الملك وقيادة حركة التمرد ضد الأعداء. وكقائد للحركة الوطنية وجه « ترونج دنه » اتهاماً عنيفاً الى أولئك الذين ارادوا الاستسلام :

« لكل الانهار منابعها ، ولكل الاشجار جذورها ،

وكل انسان يولد بجسمه وأطرافه

لماذا ينكر أباه أو مليكه ؟

كل انسان يولد في بيت وأسرة ،

لماذا يسقط حقه ككائن ومواطن ؟

لماذا نملك آذاناً ولانسمع ، وعيونا ولانرى ؟

أين أجدادنا ؟ أين قبور أسلافنا ؟
لماذا لانمتلك قلوبا لاتحس ، وعواطف لاتعاني ؟
أرضنا اغتصبت ، وشعبنا عذب .

* * *

انها تهرول خلف الاغنياء والثورة ،
حين أقبل الغربيون ليهتكوا أعراض الزوجات ويقتلوا
الأزواج .

كنت تجري خلف الذهب والمال
حين أقبل الغربيون ليجلدوا شعبنا ويذبحوه
كم منا مَنْ أهين ، أو قتل ؟
كم منا مَنْ شنق ، او عذب ؟
تعجز الكلمات عن صياغة غضبنا .

* * *

لا أحد يستطيع ان يتحدى الموت ، ولكن الموت من
أجل أرض الآباء مجيد ،
كل انسان يود قطعاً أن يعيش ، فلنعش برفع راية
المقاومة عالياً . »

* * *

في عام ١٨٦٣ ، بعد سقوط تان هوا (اقليم جو كونج) حيث تحددت مراكز قيادته ، قاد ترونج دنه حركة المقاومة في الغابات ، ووجه نداءاً آخر :

ايها المقاتلون !

ان معاهدة السلام التي وقعها البلاط لن تضعف حقدكم على العدو .

ان تسليم الأقاليم الثلاثة لن يحيد بكم عن القتال !

ايها القرويون ،

عظيمة هي عطايا ارضنا ، فلا تنسوا واجبكم كمواطنين

تبادلوا العون والحماية ، ولا تمنحوا آذانكم لكلمات العدو .

ان سقوط جو كونج لن يغريكم بالارتداد ،

وإخلاء بن نغى[1] لن يغريكم بالركوع أمام البرابرة .

كم هو عظيم حقدنا ! لنثأر ونقاوم مهما كلفنا ذلك من ثمن ،

أي ثبات لأهدافنا ! لن نسلم نفوسنا للهجران .

. . .

الحياة في شرف ، والموت في شرف . دعونا نعيش ونموت بشرف وطننا .

---

(١) سايجون الآن .

ربما كنتم أفضل المثقفين وتتوقعون ان تكونوا من رؤساء المركز ،
أو المقاطعة ، انكم لن تصبحوا إلا نفاية .
لاتعتذروا بأنكم من العامة المستذلين ، إذ وافقتم على العمل خدماً وأجراء ، انكم لن تحتالوا إلا على أنفسكم » .

. . .

وفي مواجهة العدو ، أظهر ترونج دنه روحاً شجاعة مقداماً .
واذاع على طول شواطىء الأنهار ، على الفرنسيين خاصة :

« بفقـــدان حكومتنا الملكية ، نحن نحزن كطفل فقد والديه . ان وطنكم ينتمي الى البحار الغربيـة ، ووطننا الى البحار الشرقية . . .

« اننا ندين بالشكر لمليكنا ، وسوف نثأر لما لحق به من أذى ، وسوف نموت من أجله . واذا كنتم تصرون على حرقنا بالنار واللهب فان الفوضى هي ستعم في النهاية ، ولكننا نعمل بوحي من القانون السياسي وسوف تنتصر أهدافنا أخيراً . اذا كنتم تريدون السلام فأعيـــدوا الملك الى مليكنا : اننا نقاتل من أجل هذا الهدف .

« . . . اننا نحترم شجاعتكم ، ولكننا نخاف السماء أكثر من قوتكم . نقسم أننا سنواصل القتال حتى النهاية بصلابة ، وحين

تتناقص ذخيرتنا سنسلح جنودنا بأغصان الشجر . كيف تستطيعون الحياة بيننا ؟ » .

ان أعظم من يمثل هذه المرحلة هو بغير شك نجوين دنه شيو (١٨٢٢ – ١٨٨٢) (*) وهو رجل غير مبصر ، أسس مدرسة لتعليم الكلاسيكيات للشباب حيث غرس في أذهانهم أولاً وقبل كل شيء حب العدالة والانسانية . وقبل الغزو الفرنسي كتب رواية شعرية أسماها « لاك فان تين » في حوالي ٣٠٠٠ سطر . وفي هذا العمل يمجد الشجاعة والاقدام والعظمة والوفاء ، وفي نفس الوقت ينكل بالغدر والخيانة . وأمست « لاك فان تين » عملاً شعبياً في مامبو ، فكانت تتلى عن ظهر قلب في لقاءات المساء ، وتحفر مقاطع طويلة منها في قلوب الكثيرين . ولم تتناقص شعبيتها بمضي السنين .

بعد الغزو الفرنسي وضع قلمه في خدمة النضال الوطني طيلة عشرين عاما . كتب أثناءها العديد من النداءات والاشعار والقصص الشعرية ، يمجد فيها الوطنية منذراً العدوان الأجنبي، مستنكراً أعمال الخونة . وجاءت خطبه الجنائزية على شرف الذين ماتوا من أجل الوطن ، أشعاراً تهتز لها من فرط الانفعال والتأثر .

نجوين دنه شيو وضع في مكان لامع شخصية المقاومة

(*) طالع سيرته في العدد الأول من « دراسات فيتنامية » .

والبطولة الفريدة للمقاتلين ، اولئك الفلاحين البسطاء الذين أصبحوا جنوداً لأنهم يحبون أرض الآباء :

«ما كانوا جنوداً هؤلاء الذين اشعلوا الحرب ضدالاحتلال، وانما كانوا قرويين بسطاء ، ومن أجل حبهم لأرض آبائهم تطوعوا للقتال . انهم لم ينتظروا حتى يتم تدريبهم واكتسبوا مهارات ثاني عشرة موقعة ، ولم يسألوا عمـــا ينبغي عليهم أن يتعلموه في تنظيم تسعين موقعة . واتخذوا قطعاً من قماش خشن ليصنعوا منها ملابس الحرب ، ولم يسألوا عن حقائب القذائف أو قوارير المسحوق ،لأنهم اكتفوا بحراب من البامبو الهنـــدي . ولم يسألوا عن خناجر المعركة ولا عن خوذات القتال .. وضباطهم ما كانوا يأمرون بقرع طبول الحرب استعداداً للهجوم على العدو ،بأنفسهم اخترقوا الأسوار واندفعوا نحو قلاع العدو ، وكان العدو لا يوجد هناك ، لا يخافون قذائف المدافع ولا الرصاص ، واخترقوا البوابات واقتحموا مواقع العدو مخاطرين بحياتهم [1] » .

وفي تأبين آخر ، كتب نجوين دنه شيو عدة مقطوعـــات جميلة رثى فيها الميت وتأسى على الوطن المحاصر بالعدوان الأجنبي :

---

(١) مقتطف من تأبين متطوعي كان جيوك عام ١٨٦١ - الترجمة الكاملة في « دراسات فيتنامية » العدد الأول .

« ان سماء جيادنه [1] طليت بأشعة الغروب الذهبية ،
والأرواح مبتهجة في لون الشفق ،
أن أرض بين هوا [2] تبدو في حماية القمر الشاحب .
كحزمة مرتجفة في الليل .
تسقط الأشجار طيلة النهار في اقليم كان ها [3] .
ويتصاعد الغبار فوق الحصون ،
وفي الغروب عند نهر « لونج تونج » يظهر الضباب وتشعل الاشباح نيرانها على حوافي الهاوية .

* * *

الأرواح مبتهجة فوق الأنهار والبحار ، مبهورة بسراب الأعماق ، حيث توشك مصائرهم على الزوال كالزبد .
الأرواح تحوم في الجبال والغابات ، وتغيب في تلال النمل ، ولكن ظلالها وأصواتها تبقى حاضرة معنا .
تجرف الرياح طول اليوم الصحارى المنبسطة ، تذهب وتجيء ، وتختفي كأعلام جيش لا يحصى ولا يعد ،
وأثناء الليل ، يبكي طائر الوقواق في ضوء القمر ، أنيناً ونشيجاً ونواحاً وعويلاً ، يستصرخ حقدنا اللا نهائي وسعارنا .

* * *

---

(١) ، (٢) : الأقاليم الشرقية التي سلمت للعدو .
(٣) : الاقليم الغربي الذي بدأ العدو غزوه .

ولكن نجوين دنه شيو لم يعد نفسه للندب : فبالنسبة له كانت الدموع هي التعبير عن الألم الحاد الذي اصطدم به وهو يرى أرض الآباء المغتصبة .

ولكنه لم يتوقف قط عن نداء الجميع للمقاومة ، مذكراً كل انسان بواجبه المقدس كمواطن وانسان . ولقد كتب أشعاراً كثيرة يمجد فيها قادة حركات التمرد مثل ترونج دنه وفان تونج ، وبالرغم من فقدانه البصر ، وبالرغم من اخفاق العديد من الحركات الوطنية ، الا انه ظل محتفظاً بالأمل في أنه ذات يوم سوف تتحرر أرض الآباء :

« ان أمطاراً نقية سوف تغسل أنهارنا وجبالنا وتطهرها »

* * *

نجحت حركات التمرد بمعدل عشرين عاماً لكل منها ، وكان زعماؤها كما لا حظنا من المثقفين الذين تركوا لنا شعراً وطنياً ، ولنذكر خاصة نجوين هو هوان . لقد ظل في أسره غير هياب صامداً في مواجهة الاغراء والتهديد ، وأخيراً أطاح العدو برأسه عام ١٨٧٥ . وفيما يلي بعض اشعاره :

من أجل وطننا ، وعائلاتنا ،

ليس أمراً ذا بال أن نواجه الريح والمطر .

. . .

ثقيلة هي الأعباء التي تشملنا جميعاً ،
بالخجل من أولئك الذي لايعرفون التزامهم كرجال .

. . .

انني أقبل النصر أو الهزيمة ، ما كتبته لي السماء ،
اللعنة للخونة الذين يسخرون من ولائي .

هناك مثقفون آخرون لم يتخذوا دوراً في النضال المسلح ، ولكنهم قاتلوا بأقلامهم . آلاف القصائد والأغنيات ، وغالباً ما كانت غفلا من التوقيع تغنّي بأمجاد الأبطال الذي سقطوا في ميدان القتال . وفي معبد بني على شرف المناضل الوطني سين‌هو دونج ، على سطوح المزامير ، يستطيع المرء أن يقرأ هذه الجمل المتوازية . .

ذهب البطل ، دون أن ينفث غضبه ، ولكن أسمه سيظل ممجداً
من الشمال الى الجنوب ، ونار البخور تشتعل خالدة في معبده .
كانت شجاعته لا نظير لها ، لهذا فان مجده سيبقى حتى يجيء ،
ولهب سيفه يظل لامعاً للأبد .

إن بطولة نجوين هيو هوان نجدتها هذه الفقرات :
في مواجهة الأرض والسماء أكد ولاؤه أنه بغير شائبة .
والبطل لايهمه اذا كان قد كسب المعركة أو خسرها .
ارتعد العدو من صرخاته الهاتفة للعدل .

سقط رأسه تحت سيف الجلاد ، ولكنه لم يسلم .

تحولت مياه النهر - بدمه - الى اللون القاني .

وفي الجزر أثناء الربيـع تنوح الرياح وتولول.

صرخ الفلاح الوطني نجوين ترانج تراك قبل سقوطه برصاصات الفرقة الفرنسية الضاربة « مادام هناك عشب أخضر ينمو في هـذا الوطن ، فسيظل رجال يقاتلون الأعداء » وعلى شرف ذكراه ، كتبت عدة قصائد ، هذه بعض مقتطفات منها :

البطل المقدام سيبقى اسمه الطيب للأبد .
بينما الذين خانوا ، سوف يموتون من الخجل .
لقد حمل السلاح عندما كان لايزال شاباً
وأرهف سيفه في الريح والغبار
وآسفاه ، إن المصير لن يترك البطل يهتاج حاقداً .
لقد وفى بالقسم ،
أن لايحيا تحت سماء واحدة مع العدو .

وينبغي علينا أن نذكر بصورة خاصة ما لم يوقعه أصحابه « فو » وهو نثر شعري عنوانه :« عندما يقبـل العدو ، حتى النساء تقاتل » وفيما يلي بعض المقتطفات :

ضربات الطبول تحيط عتباتهن ، والرايات تخفق
عند بواباتهن

شجرات الصفصاف وأزهار الخوخ [1] تبدأ خارج
طرقات الحرب
فيما مضى كن يشتغلن بالحياكة والتطريز في
ظل أزواجهن
والآن ، انهن هنا ، السيف والدرع في اليدين
يتبارين بها .
لنمجد شجاعتهن مهما كانت درجة مهارتهن .
خذن حذركن من الأشرار حتى لا تسقط
رؤوسكن ، ولا تبالغن في الثقة باسلحتكن
أيتها الأخوات ، أنظرن اليهم ، هل هم
أبطال حقيقيون ؟
انهن يركبن الخيول ، ويلوحن بالاعلام
ويجذفن بالقوارب ويحملن البنادق ،
ويدمرن الحصون ويتسلقن القلاع ،
ويشققن طريقهن خلال الأسوار
والبوابات

* * *

(١) رموز الى المرأة الجميلة والرقيقة .

ما الأمر ، نصر أم هزيمة ؟ لكل انسان نصيب منها ،
ما الأمر ، نعيش أم نموت ؟ لقد تم اختيارنا .
أولئك النسوة ، تفوق قدرتهن الحسبان ،
انهن يستطعن ادارة البيوت والعمليات العسكرية معاً .

* * *

كانت هناك قلة من المثقفين الذين خانوا الوطن ، واشتغلوا في الجهاز الدعائي للعدو . على أن المثقفين الوطنيين لم يمهلوهم ، بل أقلقوهم بالشعر الهجائي والتهكم المرير . وحاول أحد الخونة ـ وهو تون سو تونج ـ أن يبرر نفسه في مجموعة من القصائد مدبراً حيلا حاذقة في استجداء العفو تارة ، وارهاب الوطنيين تارة أخرى. وقد أجاب عليه فان فان تري وبوي هو نفيا ولي كوانج شيو بطريقة كلاسيكية ، وذلك بتأليف أشعار موزونة على نفس النهج والايقاع الذي أختاره لشعره ، ولكن على الطرف النقيض من معانيه . هذه المقارعة والمعارضة الشعرية قد استقبلت بتأثر بالغ من الوطن بأجمعه، اذ كشفت القناع تماماً عن وجوه الخونة الذي لم يتمكنوا طويلاً من إخفاء حقيقتهم . وإنه لمن العسير ترجمة هذه الأشعار الى لغة أخرى، ولكننا سنقتطف بضعة أبيات على سبيل المثال :

تون سو تونج :
ليس من اليسير أن تقتحم عرين النمر ،

الأطفال الصغار يهربون بعيداً .

وقد أجابه فان فان تري :

لا تحاول أن تخيف القرود بالتوسل الى النمور ،

قلبنا من الصلب ، وارادتنا لا تهتز

تون سو تونج :

من يدري ما اذا كان حظاً سعيداً أو تعيساً ؟

دع السحالى تقبل ألسنتها ، فسوف نصم آذاننا .

ورد عليه فان فان ترى :

واجباتنا تجاه أمرنا ووطننا تبقى بلا جزاء

كيف نغلق عيوننا اذن ، ونصم آذاننا ؟

تون سو تونج :

الرماد يغطي « الطريق [1] » القديم .

يتراكم التراب فوق أبواب العائلات العظيمة .

* * *

الجاموس والخيول تزدرد كل الشتائم ،

والمرء لا يستطيع انقاذ حياته ، فكيف يتكلم عن الشرف؟

اجابه فان فان تري :

---

(١) مذهب كونفوشيوس

كيف تحتقر نفسك الى هذه الدرجة ، ومازلت
تتكلم عن الطريق؟
كيف تسقط هكذا في القاع ، ومازلت تستنجد
بالعائلات العظيمة ؟

* * *

عندما يملك المرء جسده،فهو يملك أيضاً الكرامة ،
تعلم كيف تحمي حياتك وشرفك معاً .

* * *

وبين مثقفي الشمال ، أو اولئك الذين تركوا نامبو الى الشمال بعد الاحتلال الفرنسي ، كثيرون هم الذين كتبوا الشعر والنثر حيث عبروا عن حنينهم الجارف للجنوب ، وكذلك عبروا عن مدى حقدهم على العدو ورغبتهم في اتخاذ اماكنهم بين صفوف المقاومة الوطنية . ولنذكر على وجه خاص نجوين سونج (١٨٢٥ – ١٨٩٤) وقد ترك نامبو عام ١٨٦٧ على أثر غزو الأقاليم الغربية وترك أعمالا أدبية عديدة . وكمثل الذين بقوا في نامبو ، سواء الذين كان اتجاههم هو المقاومة الايجابية أو رفض التعاون مع المحتـــل ، هذا الاتجاه وصفه بفخر واعتزاز الشاعر الكفيف البصر نجوين دنه شيو قائلا :

انني أفضل أن أرى ، ولكن الظلام أفضل ،

من رؤية الخونة ومليكهم وعائلاتهم .
انني أفضل ألا أرى روحاً تعيش
وقطعة من وطني قد بترت .
انني أفضل أن أرى الليل وحده
على أولئك الذين أغرقهم اليأس .
انني أفضل معاناة العمى ،وأحرص على سلامة آثار الأسرة ،
عن أن « أرى » وأنكر اسلافي .
أفضل أن اظل اعمى ويبقى اسمي نظيفاً ،
عن أن « أرى » وأطعم بأشياء قذرة .

والآن ، بعد مضي قرن من الزمان ، تحمل جماهير نامبو هذا التقليد بافتخار وعظمة ، وكذلك الأدب الوطني في أيامنا هو استمرار لهذا الذي عرفناه ابان القرن التاسع عشر ، مضيفاً اليه ذرى جديدة .

بوي لان

الفنون والاداب في العصر الأمريكي

فوق ناقلة سريعة ، تصل ذروة سرعتها فتسبب ضجيجاً عالياً وهي تمرق من اكثر شوارع سايجون انغماساً في العمل ، كانت هناك فتاة ترتدي ثيابا زاهية تجذب انتباه كل انسان. وفجأة وقفت وقفزت وألقت بنفسها في نهر سايجون . وازدحم الناس على رصيف الميناء، وكانت الفتاة قد انتشلت خارج الماء وتجمهر الناس من حولهـــا ، وهي تتنسم الهواء وتغمغم بكلـــمات الشكر ، ثم خاطبت الحشد قائلة : « انظرو الى شفتي ، بالرغم من هذه الغطسة فان أحمر الشفاه مايزال عليها كما كان .. انه احمر شفاه ... » هذا الاعلان ذو الضجيج ليس الا واحداً من الشواهد « اللطيفة » على امركة الحياة في سايجون . ثمة أمر آخر من اكثر اشكال الفساد ضرراً للصحة الاخلاقية للوطن : أجهزة الحرب النفسية منذ بداية نظام الاستعمار الجديد ، تحاول « خلق » أدب كامل توحي فيه « الاعمال الفنيـة » بتبرير الاغتصاب الاميركي للبلاد وتقويض معنويات الشعب .

* * *

فئة قليلة من الناس تعلم ان « معاداة الشيوعية » تسربت الى فيتنام ، حتى قبل ظهور الشيوعية . وفي السنوات التاليـــة لثورة اكتوبر ١٩١٧ ، أحس الاستعماريون الفرنسيون ذوو الدراية بهذه الأمور ، أن هذه الحادثة تشغل اهتماماً رئيسيـاً من حركات التحرر الوطني للشعوب المستعمرة آنذاك ، ومن خلال سلسلة من الكتيبات ومقابلة ثام فونـج ، قاموا بحملة كبرى ضد الشيوعية متهمـــين الشيوعيين بانهم « ضد الدين والوطن والاسرة » وصاحوا بأن أخطر الاخطار التي تهدد فيتنام ليس الاستعمار ، وانما الشيوعية التي ستدمر كل شيء وتعتبر النساء والأطفال « ملكية عامة » وتضطهد المؤمنين المتدينين ، وتضع نهاية للحياة الروحية والقومية والعائلية !!» وعلى الفور هلل الاقطاعيون ودقوا الاجراس .

وبعد ثلاثين عاما ، لم يكتشف الاستعماريون الامريكيون الجدد اشياء أفضل . ان العداء للشيوعية يظل هو السلاح الايديولوجي الغلاب . كان الموقف فقط اكثر يأساً عند الامبرياليين الاجانب والاقطاعيين المحليين عام ١٩٦٥ ، حين وضع الامريكيون ايديهم على جنوب فيتنام . كان النصف الشمالي من فيتنام قد تحرر تماماً ، وحينذاك أعيد تنظيم الأرض بحيث أُلغي الاقطاع . وكانت الدعوة الى معاداة الشيوعية بواسطة الامريكيين والاقطاعيين قد أفلحت كالعدوى السامة ، بل اكثر كراهية بالمقـــارنة الى القلق الذي استحوذ على المستغلين في مواجهة الانهيار القريب والحتمي لنظامهم .

كان الامر موجهاً هكذا الى « الصحفيين والكتاب » ان يتنافس كل مـع الآخر في تحقير الشيوعية والشيوعيين . كل شيء استقطره الغرب في حقل العداء للشيوعية أصبح شديد الاهمية عند اللزوم وفي الوقت المناسب ، ابتداءاً من المهـارات الكوستلرية[1] والكاموية[2] ، الى المحصلات الفظة المكارثية . كل ذلك مورس ومازال يمارس بواسطة الاقـــلام المأجورة ، في قوالب الشعر والروايات والافلام والمقالات .. الخارجون على مقاومة الفرنسيين ، بشكل خاص ، كانوا يستخدمون لهذا العمل . ذلك أن الذين أمضوا زمناً في النضال الثوري ، يستطيعون ـ حسب رأيهم ـ اضفاء بعض الصدق على تركيب مادتهم !

وكاتب مثل « شوتو » هو نموذج من هـذه الخطيرة . ففي كثير من رواياته يحاول تصوير الشيوعيين على أنهم كائنات وحشية ، أقرب الى الحيوانية منهم الى الانسانية . وبعد سنوات من المعاناة يعجز شوتو عن ان ينســـج ولو القليل من حضور الحياة لشخصية « شيوعية » بينما استطاع في شخصيات أخرى ان يبـدو قادراً على

---

(١) نسبة الى كوستلر مؤلف رواية « ظلام في الظهيرة » التي كتبها بعد ارتداده عن الشيوعية منددا بها . — المترجم —

(٢) نسبة الى الكاتب الفرنسي البير كامو .

كشف الستار عن المآزق السرية الرابضة في أعمق أعماق « الشخصية الانسانية ، الفريدة ، والمتعددة الاشكال » .

لم هذا العجز والفشل ؟ ان السؤال لا يملك اسباب الذكاء، فالصعوبة امام الكتاب المعادين للشيوعية في فيتنام هي أن يجدوا في الواقع القومي - ولو في قطاعات صغيرة منه - مايساعدهم على خلق الايهام بالواقع .. وطيلة قرن قاد الشعب الفيتنامي حركات ضارية من المقاومة الوطنية ضد الاستعمار ، حيث أمست أجمل القيم الأخلاقية والبطولية وانكار الذات والتآخي والعدل والأممية ، في اكمل صورها،هي السائدة . وعلى طول هذا النضال كان الشيوعيون في المقدمة ، وهي حقيقة تعرفها الأمة كلها ، وكذلك فان الشيوعي الفيتنامي الأول « هو شي منه » هو اكثر المواطنين محبة واحتراماً في البلاد،من الماركسيين والمؤمنين ودعاة المذاهب والأديان الأخرى .

وعلى الطرف النقيض ، فان معاداة الشيوعية قد ارتبطت ، لعشرات السنين ، بالاستعمار ، واتصلت بأكثر الأيدي قـــذارة وفساداً ، لذلك فمن العسير للغاية في فيتنام ، بل من المستحيل أن تُلوث الشيوعية والشيوعيون،وتنشد اغنيات المجد لمعاداة الشيوعية . ان الوحشية الضارية للسياسة الامريكية في جنوب فيتنام،حيث الفساد غير الطبيعي يسود سايجون ، تشكل تناقضاً حاداً مع البطولة الرائعة للمقاتلين في جبهة التحرير القومية ، وتحاول أن تحوك مزقاً من الفرص

لمعاداة الشيوعية امام النظارة . وحاول البعض ان يحيي نوعاً من الحماس للحرب بأن غنوا « سيروا نحو الشمال » أو « القتـــال ضد الشيوعية » ولكن جهودهم لم تجد أذنا صاغية .

وفي وقت مبكر من عام ١٩٥٨ ، نشرت جريدة « سوي لوان » بقلم فان كولج ، السيء السمعة والمعادي للشيوعية ، الذي كان خصماً لـ « ديم » ثم رضخ وأذعن ، ما يلي :

« لنفرض انك أردت أن ترفع شعار العداء للاستعمار [١] فأنت تكتب عن المقاومة . وأأسفاه ! انك تغامر بأن تتهم بالتغني بأمجاد الشيوعيين . ولو انك صنعت هذا بالكتابة عن مقاومـــة الاتحادات التجارية في المشروعات الفرنسية [٢] ، اذن فسوف تتهم بالترويج للصراع الطبقي . ولنفرض انك تريد ان تهاجم الاقطاع[٣] . فسوف تصف الفلاحات العذارى اللاتي اغتصبهن مـلاك الارض . هذا ايضاً تحريض على الصراع الطبقي . ويتبقى في النهاية العـــداء للشيوعية . انك تواجه حينئذ عائقين : فمن ناحية لن يعرف عملك إلا قلة من القراء ، ومن ناحية اخرى لن تجد فرصة لمراقبة اخطاء

---

(١) و (٣) وضع نظام ديم اربعة شعارات : « العداء للاستعمار » ، « العداء للاقطاع » ، « العداء للشيوعية » ، « التمويه على الاستعمار الامريكي الجديد ، والمؤامرة على رجال سايجون » .

(٢) الكثير من المشروعات في سايجون يملكها الفرنسيون .

الشيوعية ، لأنك لن تستطيع وصفهم وان تجعلهم مكروهين » .
(سوي لوان ٢ فبراير ١٩٥٨)

انه لمن العسير ان تفرض على القراء مضغ كلمات العـداء للشيوعية التي ينسجها كتابهم حتى وهم يسردون ذكرياتهم الشخصية، فانهم مرغمون على الاصرار في مقدماتهم على أن :

« هذه قصص حقيقية ، وليست رواية عاطفية ، والمؤلف لا يفعل شيئاً سوى ان يحكي عن لحظة في حياته ، ويسرد اشياء رآها وسمعها ويصفها كما هي » (مقدمة باي « استذكارات » بقلم هوانج وات) .

« هنا اشياء أبصرت وسمعت وحدثت ١٠٠ ٪ ، انها وثيقة مضمونة في مطابقتها للواقع بغير اضافة أو حذف (مقدمـة الى « معسكر رقم ٥ » بقلم سانه تو) .

والبعض لا يهمه أن يقدم أية اعتذارات . و « الكاتب » نجوين مانة كون ، في مقابلة بينه وبين مجلة « باشي فوا » أوضـح تصوره للخلق الأدبي :

« لقد دفع لي ٢٠ الف قرش شهرياً بواسطة عضوالدراسات الاجتماعية والسياسية لكتابة مادة معادية للشيوعية . انني لا اكتب مطلقاً من اجل محبة الفن ، وانما ببساطة لأكسب رزقي » (باس خوا - ٢ فبراير ١٩٦٢) .

ولا يقوم « نجوين مانة كون » بكتابة هذه « الاعمال » فقط ، بل بتحريض الآخرين ليكتبوا في نفس الاتجاه ايضاً .

وعندما فشل النظام في سايجون أن يغرس في أذهان الشبيبة بجنوب فيتنام العداء للشيوعية ، حاولت « آدابهم وفنونهم » على الأقل ، أن تفسد اخلاقياتهم وترخي من عزائمهم بقصد تحطيم مثلهم الفكرية وتخريب احترامهم للقيم المعنوية . وبسبب الفساد سوف يكون الأمر اكثر يسرا بالنسبة للشباب غير الاخلاقي ان يؤجر نفسه كجنود مرتزقة ، وان يتم اغراؤه لارتكاب ابشع الجرائم .

وقد احيطت السلطة الامريكية ذات مرة بفيض كبير من الروايات والافلام والمجلات التي تحرض الشعب على الغواية واستباحة كل شيء ، ولا شك ان المجتمع الامريكي ينتج هذه الاشياء بغزارة ، ومنذ ان وصل الامريكيون الى سايجون ملأوها بها . وقد صرخت الصحف – حتى المقرب منها للنظام – رعباً في وقت مبكر للغاية . ودعنا نقتطف نصا من « تاتزان » في ١٨ يونيو ١٩٥٩ :

« هذه الروايات ، القصيرة والطويلة ، التي تنشرها الصحف الفاسدة ، جميعها قصص عن الحب الرخيص كتبت بتكنيك متدن ومبتذل ، حيث يصل الأدب المكشوف الى اعلى درجات فضائحه . ومن الناحية الاخرى فان تجار الادب يبذلون غاية نشاطهم في خلق النماذج من مغامرات رعاة البقر وقطاع الطرق مستهدفين تحطيم

الشباب . ان هذه السموم تلقح العقول الغضة يومياً وتدفع شبابنا نحو الهاوية . »

وتقتطف كاشمانج كوكجيا في ١٠ مارس ١٩٦٠ هـذا الرأي لأستاذ جامعي :

« ان السينما تعلم الأطفال فن الجريمة وسوء السلوك . ان الافلام توقظ في الاطفال غرائز الجنس والعدوان. ان السينمابالنسبة لهم الان هي مدرسة لتعليم السرقة والجريمة » .

دعنا نلتقط بصورة عشوائية عناوين بعض هذه الافلام من الصحف :

« ظمأ الحب » « اسرار النساء » « غرام بين اللصوص » .
« ماذا تعرف عن النوادي الليلية في العالم».. وقليل من الاعلانات:
« اكثر إغراء من مارلين مونرو » « اكثر اثارة من بريجيت باردو»
« أكثر رشاقة من أنتيا اكبرج » « اكثر جنسية من ديانامورس »
« نجمة هذا الفيلم تمثل دور فتاة صغيرة منحتها الطبيعة جسدا مثيراً ، ولهذا رسا حطام السفينة في أرض جزيرة صحراوية حيث كان يعيش خمسة ذكور عطاش الى المضاجعة » ... الخ .

ولا تتخلف الأعمال « الأدبية » عن اللحاق بالافلام في أي طريق كان . وتتضمن مجلة « تن نان » (الاخبار الأدبية) التي تنشر في سايجون (العدد الصادر في ١٦ اغسطس) مايلي :

« لم يحدث ان أصبح الأدب على هذه الدرجة من الدعارة. هناك كتب لن تجد فيها من بدايتها الى نهايتها إلا شيئاً واحـــداً : الذهاب الى الفراش .. وتبـدو الشخصيات في حقيقتها خنازير في ثياب بشر » .

حتى مايوجه خصيصاً ومرحليا الى تلاميذ المدارس لايفلت من هذه القاعدة . ولنقرأ من يوميات تلميذ نشرت في « جيـــافام هوكسنه » (الأعمال المدرسية) :

« أشكرك ايتها المومس لأن الأجر ١٣٠ قرشاً . انا وثلاثة صبية آخرين نمنا معك طول الليل . والمدرسـة بادراجها ومناضدها تشهد على تلك الليلة من ليالي المضاجعة ، حين كان كل منـا يسابق الآخر كالكلاب وهم يجرون خلف اناثهم. وفي الرابعة صباحاً رأيتك تقومين في الليل البارد » .

وصرحت جريدة « كوشلاون » في ١٠ مايو ١٩٦٥ ، ان ذلك العدد من « الأعمال المدرسية » قد حظي بتوزيع واسع بعد موافقة « السلطات المسئولة » ..

والى جانب الادب المكشوف فان هناك سلسلة كاملة من كتب المغامرات والروايات الغامضة التي تحرض القراء على اقتراف الجرائم . وعبر هـــذه القصص جميعها يسمع المرء جلبة المسدسات وعواء القتلى ، والضحكة الشيطانية لعالقة الرعب ، ثم الدم والجنس وقد امتزجا في ود .

والاسلوب الأكثر دهاء في تحطيم مقومـــات الشباب هو توجيهم نحو اللامبالاة والتشاؤم ، وتفريغهم من الطموح الى الأفضل والحياة الحقيقية ، وقد وضع شوتو هذه الكلمات في أفواه شخصياته.

« الوطن ، العدالة ، العظمة ، الصداقة ، الحب . . ليس ذلك كله إلا غشاوة خديعة ... كل ماأعرفه هو المال » (عن روايته « سونج » الحياة ص ٤٥)

« أعظم أهدافنا هو أشواقنا الشخصية » (عن « لون » الفتنة ص ٦٥).

« على المرء ان يطلق نفسه من اسار العقد التي فطر عليها من يدعون بالمواطنين الشرفاء (عن « بي » الحب ص ٢٨)

وما الغش والجريمة من وجهة نظره إلا جزء لاينفصل عن « الطبيعة الانسانية » وما يشكل سحر الحياة. ويقول مرتدياً ثياب البابوات :

« اعتقد انه اذا استطاع الانسان ان يستهوينا ويغرينا، واذا امتلأت الحيـاة بالبهجة ، فذلك لأن الانسان يعرف كيف يكره ويمكر ويخدع ويخون . ماأقبح الحياة لو تحول البشر جميعاً الى طاعة الاخلاق ، لو انهم تشبهوا بملايين الساعات المضبوطة الدقيقة المنظمة ، كلها تدق في نفس الساعة ، لاتبطىء دقيقة أو تسرع . سوف يتكون المجتمع حينئذ من الرجال أصحاب الهدف الثابت ، ولكن هـــذا

المجتمع الكامل والتام هو بالدقة المجتمع غير الانساني ، لانه يفتقر الى « جوهر » ذلك الانسان المجرم الذي يستطيع ان يحب وأن يكره. » (عن روايته « لون » الفتنة ص ٢٨٧) .

وهكذا يصبح من قبيل العدل ان يرفض كل انسان التزاماته ويصبح بوسع كل انسان ان يخون وطنه ، وان يبيع نفسه لمن يدفع أكثر ، لأكبر المزايدين الامريكان .

وفي غمرة هذا الفساد العام ، فان العقول التي تتمتع بالشجاعة والأمانة ، والتي تحاول ان تعطي معنى في كتاباتها أو اعمالها الفنية الاخرى ، لايعوزها شيء . ولكن الرقابة لاترحم : فأية مطالبة بالعدالة والشرف تدان على الفور وتدمغ بأنها « دعاية شيوعية » . ومن اللازم أحياناً ان « تفسر » رموز كتاباتهم حتى تتعرف على اهتمامات الكتاب الحقيقية . من هنا فلا مجال للدهشة إذا تزايد عدد الكتاب والفنانين ، أكثر فأكثر ، الذين ينخرطون في سلك النضال .

. . .

ماهي حصيلة اثني عشر عاما من السيطرة الامريكية على الحياة الثقافية في جنوب فيتنام ؟ ان مجلة سايجون « باشخو » تلاحظ في عدد يناير ١٩٦١ :

« منذ سنوات عديدة مضت لم نحصل بعد على عمل فريد ،

ولو مجموعة من القصص القصيرة القادرة على ان تعطينا صورةالواقع. بينما الحياة الواقعية تموج بالمواجهات الدرامية بحيث تحمل عقـــل الانسان وقلبه الى اعلى الاعالي ، ولكننا نجد ظلالاً للماضي فحسب في الاعمال الأدبية ... هذه الأعمال لا اعماق لها .. انها تشبهشريطاً رقيقاً من الزيت فوق سطح الماء . ان مستوى المعرفة والشعور في غاية الفقر .. »

على ان الفشل الذريـع في الشعر يجعله كالرواية بغير قراء. اننا لانستطيـعان نجد زهرة واحدة تستمع الى اغنية طائرواحد.. هناك فقط الاسترخاء والمعاناة والمكابدة ، والانحـلال واليأس ، وانفاس المعشوقة ، وأحلام كثيرة في حياة محكوم عليها بالعجز ».

وتكتب « ثن ساش » التي تشتملعلى عرض شهري للكتب (في سبتمبر ١٩٦٢) تقول :

« الروايات هذه الأيام كلها متشابهة ، تجد فيها نفس المعاني السطحية ، ونفس اليأس . ولم يعد من المهم ان نقرأها » .

وفي ٤ نوفمبر ١٩٦٣ ، بعد سقوط ديم ، انتابت نوبة من الاخلاص ثلاثة من الكتاب الذين خدموا النظـــام بايمان كبير ، وكتبوا في « نجون لوان » .

« لقد بدونا كمقاتلين بأقلامنا من أجل الحرية والديمقراطية

وتحرير الانسان ، ولكن الحقيقة اننا ، خلال هذه السنوات ، ومن أجل ان نجد شيئاً نأكله ، وبسبب من الخور والخوف والجبن ، بعنا أرواحنا كالمومسات ، وخذلنا الحقيقة وشعبنا ، ونصبنا من انفسنا خدماً لعائلة نجو .»

ولكن سقوط ديم لم يغير شيئاً لان المحتل الامريكي لايزال هناك اكثر تواجداً في كل مكان عن ذي قبل . واجهزة الحرب النفسية تفرض محاورها الفكرية على الكتاب والفنانين : الادب المكشوف والافلام الجنسية اكثر نجاحاً ، والخواء أكثر سيادة . وفي ٨ نوفمبر ١٩٦٦ اثناء الاحتفال بتوزيع جوائز الادب خطب أحد الفائزين قائلا :

« إذا ألقى المرء نظرة على التطور الثقافي والايديولوجي للبلاد خلال السنوات العشر الاخيرة،فلن يستطيع ان يمنع نفسه من التشاؤم ، فكافة الظواهر تدل على الضعف والوهن ، وكافة الاحكام أضحت هشة ومهلهلة ، وكافة القيم الانسانية ديست بالاحذية . والاجيال الحديثة لاتتمتع بأية حماية ضد المؤثرات الضارة والمهلكة التي تدمر قدراتهم وسلامة التعبير الذاتي ،كما ان حياة الكتاب والفنانين غير مؤمنة . اننا سنستمر في الشهادة لحدود ذات فاعلية ، ضد الانتهاك الفظ لعقلية الكاتب وبدنه وعمله » .

في فيتنام أكثر من أي مكان آخر ، لاتصلح معاداة

الشيوعية والخيانة الوطنية ان تكون اساساً لانتاج أدبي جيد .
وخلال السنوات الاثنتي عشرة الاخيرة وتحت ضغط الدولار الامريكي ، وبالرغم من وفرة الاسباب المادية التي دعت الى تنظيم رجال الادب ، ظل « الخواء العظيم » مسيطراً . وفي المعسكر الآخر ، الى جانب جبهة التحرير الوطنية ، يستطيع الانسان ان ينتظر أدباً قومياً أصيلاً .

القسم الثاني

قصائد



وطني

حين كنت صبياً يذهب الى المدرسة مرتين في اليوم .
عشقت وطني في كلمات الكتب
« من يقول ان حياة الرعاة قاسية ؟ »
اصغيت حالماً الى الطيور الصادحة في الأعالي .
دائماً ، كنت لعوباً شقياً ،
اصطاد الفراش قريباً من البركة ،
ثم تصيدني امي ...
جلدني السوط في عنف
حينئذ بكيت : هيء ، هيء ، هيء !..
جارتنا الصغيرة
رمقتني هازئة . أوه ، ياله من كربه !
ثم انطلقت الثورة ،

وبدأت الحرب الطويلة .
حرث العدو أرض بلادي
تركت امي وذهبت بعيداً .
وجارتنا الصغيرة - من يصدق ؟ -
هي الأخرى اصبحت فدائية .
وحين التقينا ، ذات يوم ، كررتْ حركتها السابقة
كانت عيناها مستديرتين سوداوين ، حبيبتين ، صادقتين !
على اننا في ساحة الوغى ، لم نتبادل كلمة .
وعند مرور وحدتنا أدرت رأسي ...
وبالرغم من المطر المنهمر
امتلأ قلبي بالدفء ، لا أدري لماذا .
حينما ساد الهدوء ، عدت
الى المدرسة القديمة وأثلام الحرث وقصب السكر .
والتقينا ثانية :
واختبأت في اضطراب خلف الباب ...
وضحكت اذ همست :
« هل تزوجت ؟ » - « يشقيني نداؤك يا أخي » .
وتناولت يدك في حذر وسعادة
وتركتها أنت تلتهب بين يدي ...

والیوم سمعت عنك
يعز علي التصديق ، ولكنها الحقيقة
لقد أردوك ورموك بعيداً !
لماذا ؟ أجابوا : « انك فدائية » .
يدمي الألم قلبي ، انني نصف ميت !
لقد عشقت وطني ذات مرة ، لطيوره وفراشه ،
وللايام التي امضيتها لعوباً شقياً تجلدني امي بالسياط .
وانني لاعشقه الآن لكل ذرة من تراب الارض ،
ليتوسدها جزء من جسد ، ودم الفتاة التي احببتها الى الأبد .

« ١٩٦٠ »

جيانج نام

عبور قرية في الليل

كان القارب قادماً في الهزيع الأخير من الليل :
وأكوام البامبو بارزة على سطح الماء .
والمجداف يهز السماء المرصعة بالنجوم ،
والطائر الشارد يستدير في الفضاء ،
وفي هدوء وصلَ القاربُ في الظلام ،
وحين مسحت الأضواء الكاشفة أعلى أشجار النخيل .
شحن السلاح ، واتسعت العيون على آخرها ،
وانتظرنا .

* * *

أدارت فتاة السامبان[1] قدميها بسروالها ،

---

(١) نوع من السفن الصغيرة يستخدم في الشرق الاقصى .

وهبت ريح باردة من الكثبان ،
وحملت الأمتعة الى ظهر السفينة .
الزهور المتوحشة والحشائش الجافة ، رائحة الغابة والجبل.
واذ تلامست يدانا ، احمرت وجنتاها ،
لفحتني أنفاسها الدافئة ، وتوترت إيماءاتها السريعة .
تناثر الماء رذاذاً
فالشحنة ثقيلة ، والقارب ينتزع نفسه بصعوبة .
« هل أساعدك ايتها الزميلة ؟ - » سألتها ،
فهزت رأسها وأدارت السامبان سريعاً ،
تعيش بين الأعداء ، وسط مواقعهم وقلاعهم
وبدت مزيجا من الفرح والأسى .

* * *

مضى القارب في الظلام
وحين كان يظهر على السطح
يهز المجداف السماء المرصعة بالنجوم
وعلى الشاطىء الآخر بدت أشجار النخيل تومىء الينا
وظلت عينا فتاة السامبان ثابتتين
على برج المراقبة عند مدخل القرية
يداها الرشيقتان تحركان المجداف

وأصبعها الرقيق يرتفع عند المنتصف فوق سطح المياه الجارية .

ضربات قليلة ! والشاطىء مغلق تماماً ،

واشرأبت قلوبنا بالفرح والتوتر .

طلقة نارية ، مزق انفجارها سكون الليل ،

وتساقط الشرر في الظلام .

« لتظل جالساً » قالت « لا تتحرك » !

وتقدم القارب في خطوه نحو العدو .

تمايل قليلا ، والرصاص يئز فوق الرؤوس ،

وتمدد ظلها فوق الأمواج .

« اجلسي يا أختاه ، دعي المجداف لنا » توسلنا اليها .

« كلا يا أخوتي ، لا تقلقوا » وتحرك القارب للأمام .

واضطربت السماء الداكنة الظلمة .

تمزقت نياط قلوبنا ، والتمع الغضب في عيوننا ،

واكتسحت النهر ضربات العدو ،

وبقبضاتنا المحكمة تفجرت النار من سلاحنا المتوقد بالحقد .

* * *

رسا القارب في سلام بجانب شجرة ،

وحين لامسنا يدي الفتاة ترددنا في الفراق .

وهمسنا « شكراً »

فنورت وجهها ابتسامة ، وهي تهز رأسها .
وقالت « انني عضو في الشباب الثوري » ،
« ولم اصنع الا واجبي »
وتوارى شبحها في الليل البهيم
وحين عبرنا القرية
بدا لنا أننا لا نزال نسمع خطواتها الخفية .

* * *

أيتها البطلة الشجاعة ، ذكراك
حية في قلوبنا ، ونحن نقصف القلاع .

سبتمبر ١٩٦٢

سنتزوج في الربيع

ترددت الأغاني في القرية كلها ،
انها ليلة العيد ، وانني لأفكر فيك .
كل شيء قد استحم في ضوء القمر ، ولااذكر سوى
مصباحنا الصغير .
لقد سافرت في طول البلاد وعرضها ،
ذكريات قريتنا الصغيرة تملكت عقلي :
هناك يرقد نصف قلبي ياحبيبتي .

* * *

انني افكر فيك ياحبي ، في تلك الايام المظلمة ،
حين عشت تحت الأرض في سرداب ،
أكلت من قصعة الأرز وشربت من فياسكا ،

انفث غضبي على سطح الأرض الباردة .
واشتريت لي ارزاً كل ليلة ، وعيناك تبرقان ،
والنجوم وحدها هي التي شهدت حبنا ،
لقد حلمت بـ « كوك انه داى »
عندما رأيتني انت « لوونج سوبا »[1] ،
وانفتح قبرهما ذات مساء
وخرجت منه فراشتان بيضاوان غابتا في السماء،
تحررتا من الظلم ، وهاهما تتمتعان اخيراً بالسعادة .

* * *

ولكن كلينا اختار ان يقاتل ،
لم نحاول الهرب من الظلم ، بل رأينا ان نقيم العدل .
وذات يوم ، وسلاحي في يدي ، نسفت موقع العدو ،
غير اني حين عدت اليك ، كنت انت قد مضيت .

* * *

أربع سنوات مضت ، ما أسرع الزمن في التصرم .
نمت قوانا كالأشجار في الغابة ،
خطواتنا تهز « البنتاجون » ،

---

(١) عاشقان تعيسان في قصة قديمة .

وبين أيدينا ثلاثة ارباع ارضنا .
رائعة حقا ، تلك البقاع الحرة ،
وتحت هذه السماء العظيمة لم التق بقلبي الحبيب .
انها ليلة العيد . وهكذا افكر فيك :
أربع سنوات ! ولم نلتق بعد .
الا الكلمات القليلة التي وصلتني ذات مرة على قطعة من قماش ،
تلوثت بدماء حاملة الرسائل الشابة ،
التي قتلها العدو في الطريق .
ماتت ولكن رسالتك وصلتني بغير نقصان .
وجاءت كلماتها الأخيرة الي :
« انها تحبك ، وتفكر فيك ،
وهي في المدينة في غمرة المقاومة » .
وأمست سايجون اكثر قرباً لقلبي ،
لانه في طرقاتها اتخيل ظلالك عابرة ،
ويدوي صوتك بين الجموع
منضماً لزلزال المقاومة !
ليلة العيد ! ولكن الدماء لم تجف في شوارع سايجون ،
لا يريد الأعداء ، ربيعاً لشعبنا !
على ان البهجة تملأ كل قلب :

النصر قريب ، فارتدي ثيابك الجديدة لتشعري وانت في
المعركة ،
بسعادة القتال ! والسلاح في يدك .
سأعبر قلب سايجون اغني انشودة التحرير ،
وارفع رايتنا فوق مدينة المجد
وعندئذ ستبرق النجمة الذهبية فوق مدينة « هو شي منه »!
سأبحث عنك . ارتدي ثيابك الجديدة ،
فحينا تصمت البنادق ، سنزف
فوق أرضنا الحرة ، في ربيع النصر ،
ويبسط ملاكان جناحيها بعرض السماء الرائعة .

أغنية المقاتلين

(أغنية فولكلورية)

نهبوا أرضنا وأخضعوها لمحاربيهم ،
محوا بيوتنا وبنوا القواعد العسكرية ،
لن يذهب البكاء بغضبنا ،
واستجداء الشفقة لن يفتح باب الخلاص .

* * *

البنادق والقنابل ليست طريقنا الى الحياة ،
فلم نكن أبداً أصدقاءً للحرب ،
ولكنهم أقبلوا مسلحين حتى الاسنان ،
فهل نسلم أنفسنا للعبودية ؟ كلا .

* * *

دعونا ننهض ، بالبنادق والسكاكين في الأيدي ،

دعونا نحمي أرضنا وأنهارنا وأسواقنا !
قساة هم وبرابرة ،
ولكنهم ، ثمنا للدم سيدفعون دماً

* * *

أؤلئك الذين شنوا علينا العدوان ،
وأولئك الذين « يطأون بالأفيال مقابر أسلافهم »[1]
اننا سنرفع أسلحتنا بصلابة ونطردهم ،
كما صنعنا مع أقرانهم منذ سنوات مضت .

* * *

ليلة بعد ليلة ، تحت أشجار النخيل ،
أرضنا تهتز وشعبنا يستعد للهجوم .
وأعين المقاتلين تبرق في الظلام ،
ينظرون الى النجوم ، والسماء ملء أبصارهم .
للامام يمضون ، ينشدون بحماس ،
لأرضهم الحبيبة ودمائهم وعظامهم . . . فهذه قلعتهم
وحصنهم الحصين

---

(١) قول مأثور يستخدم للاشارة الى الخونة من أبناء الوطن .

نجوك آنه

ظلال شجرة كنيا(*)

(أغنية فولكلورية)

في الصباح ذهبت الى الحقل ،
رأيت ظلال شجرة الكنيا العظيمة ،
تمتد وتنحني نحوي .
وتغطيني حتى الرسغ .
لقد عدت الى بيتي مفكرة فيك
ولم استطع ان انام .
عند الظهر اقبلت امي من الحقل ،
لقد رأت ظلال شجرة الكنيا ،
والظل المستدير أسفل الشجرة
غطى ظهر أمي .
امي عادت الى البيت مفكرةً فيك ،
بكت امي .

(*) في الانجليزية كتبت هكذا : K'nia

سألت شجرة الكنيا ،
« انبئيني ، الى اين تتجه الرياح »
– « انها تتجه الى حيث تشرق الشمس » .
سألت امي شجرة الكنيا :
« من أين تمتص جذورك المياه ؟ » ،
– « انها ترتوي من ينابيع الشمال »
ان دودة الارض تعيش فوق التربة التي تغذيها ،
ان طائر الـ « في » يعيش في الغابة التي تؤويه .
انني وأمي نفكر فيك ،
انت الذي تمدد نفسك عند ينابيع الشمال ،
كظل شجرة الكنيا ،
كريح شجرة الكنيا [1] :

(١) هذه القصيدة عبارة عن أغنيـــة فولكاورية مجهولة المؤلف تنسب لأقلية قومية تدعى Hre وقد نقلها الى الفيتنامية لأول مرة نجوك انه ، تمت الترجمة الانكليزية عن صياغته .

سانه هاي

لقد عبرت الخط الفاصل

في الليلة الماضية عبرت الخط الفاصل
شمالا في الطريق الى لقائك .
ذلك انني منذ بعيد افكر فيك ،
اواه ، بأي اندفاع وشوق هرعت اليك
خضت مهرولاً حقول الأرز
يالها من خضراء جميلة .
طفت شوارع المدينة ،
أكنت انت ياحبيبتي التي رأيتها هناك ؟
اجل ، كنت انت ، انت ، انت
كنت انت ياحبيبتي . صرخت في هتفة واحدة .
ياحبيبتي ، بكيت ، انتظري !
هاأنذا ، ياحبيبتي ، انتظريني
توقفت ، وتعرفت

على شبحي القادم من بعيد .
لو انك ضعت وسط مئات الفتيات ،
سوف ألتقط عينيك على الفور .
وبين ذراعيك استقرت ،
صرخاتي « خمسة اعوام مضت ».
وارتباطنا لاينفصم :
كانت هناك اشياء كثيرة تقال !
سألتني انت عن الحقول ،
عن القرية والنجع .
أجمل كثيراً ، بدت لي تلك السنوات ،
كيف لي ان احدثك عن آلامنا ؟
لمست ذراعي الملفوف ،
حيث كنت تسندين رأسك
وفي هلع مفاجيء سألتني :
« ماهذه الندبة الغائرة في لحمك ؟
من اصابك بهذا الجرح الغائر في ذراعك ؟ »
ـ « انتظرتك طوال هذه السنوات ،
ولم أذهب قط الى حيث يوجد العدو ،
ورفضت ان اتخذ زوجاً غيرك .
ذلك انني رفضت ان اهجرك ،

اما العدو فقد امسك بي وقبض علي .
فهم الذين اصابوني بهذا الجرح الغائر
حيث كان رأسك يتوسد ذراعي ويستريح ،
جف حلقي ،
وأمست دموعي تحمل ألمي .
في صدرك حيث كنت ادفن رأسي
كان الغضب يغلي
صاح الديك في مكان ما ،
واستيقظت من نومي ،
وحين تذكرت حلمي
ثقب فؤادي الأسى .
من الجنوب الشهيد ،
اواه ، هل تعرفينه يا حبيبتي ؟
كل ليلة ، حين اقابلك ، يعبر قلبي
حدود الخط الفاصل .

القسم الثالث

قصص

نجوين ترنج ثان

غابة « اكسانو »

كانت القرية هدفا لمدفعية الأعداء المنصوبة على مقربة منها، وقد اعتادت المدفعية اطلاق النار على القرية مرتين كل يوم ، اما في الفجر أو عند الغسق ، عند بزوغ القمر وطول الليل ، او في منتصف الليل وعند صياح الديك . وكان من المألوف جداً ان تتساقط شظايا القنابل على التلال التي تكسوها غابة « اكسانو » فتترك اثارها ، اذ تطيح بالاشجار من منتصفها ، فتتهاوى على الارض وكان المكان يفوح برائحة عصارة الاشجار تحت شمس الصيف اللافحة .

وكانت أشجارالصنوبر تعلو بهاماتها كأشجار « الاكسانو». وكلما تهاوت واحدة منها نبتت مكانها أربع صغار ، بأطراف ممشوقة كالسهام عطشى لأشعة الشمس . وتنمو النباتات الصغيرة بسرعة . وعندما تطيح الشظايا بالاشجار الصغيرة ، فان الجروح

لاتندمل ، والعصارة تنضح صافية ورقيقة ، ولذلك فانها تموت خلال خمسة أيام أو عشرة . أما الأشجار الباسقة فلاتموت ، وانما تندمل جراحها سريعا ، ولذلك كانت غابة « الاكسانو » تعتبر الدرع الواقى للقرية ، تقف فوق التل ، وتمتد صفوفها حتى تحجب الأفق ، وتتعاقب بعدها تلال أخرى مغطاة بالاشجار ..

عاد « ثو » الى القرية لأول مرة بعـد ثلاثة أعوام أمضاهـــا في قوات جيش التحرير . وقابل « هنج » الذي أرسل الى الطريق . ويوم التحق « ثو » بالجيش كان « هنج » طفلا صغيراً . اعتاد أن يقتفي أثر الكبار حاملا سلة وراء ظهره . اما الآن فقد أصبح يحمل بندقية من النوع الذي يلعب به الاطفال . وسارا في الطريق القديم الذي يتلوى عبر الحقول ،وارتقيامنحدرين نحتت منها بعض الدرجـــات ، وعبرا الغابة قبل ان يصلا الى القرية . وأدرك « ثو » انه كان سيفشل في الاهتداء الى الطريق لولا مساعدة « هنج » ، اذ أصبح الآن مملوءاً بالفخاخ والحفر المغطاة باشجار البامبو . ويحتاج الانسان الى الحذر اثناء السير والا تحطمت ساقه . وكان الصغير « هنج » صامتا كعادة اهل قرية « أكسومان » ، يرتدي قبعة اهداها اليه احد جنود جيش التحرير . وارتدى جاكيتا طويلا ، وعلق بندقية على كتفه ،فبدا كأنه واحد من المحاربين . ومرا بعدة مواقع دفاعية . وكان الصغير يغمز لـ « ثو »

ويبتسم وكأنه يقول له : ماذا تظن يا أخي ؟ وتشع عيناه بفخار ، ويرد « ثو » عليه بابتسامة ويهز رأسه متعاطفا معه . »

وتوقفا عند عود من البامبو يخرج من نبع يتدفق منه الماء . وقال « هنج » : اغسل قدميك ، ولكن لاتشرب من الماء ، والا انتقدتك الأخت زيث

وضحك « ثو » وسأله : هل الاخت « زيث » مسئولة عن صحة القرية ؟

ـ لا ، وانما هي السكرتيرة المسئولة للجنة السياسية لجيش القرية .

« آه فالامر كذلك ! وخلع « ثو » قبعته وفك بعض ازرار معطفه وغسل وجهه ورأسه بالماء البارد . وتحركت الدورة الدموية في جسمه وشعر باحمرار وجنتيه .

« هكذا اصبحت « زيث » سكرتيرة اللجنة . » هذا ما كان ثو يفكر فيه ، ولم يستطع ان يتخيل كيف تبدو الأن. كانت « زيث » اخت « ماي » الصغيرة ، وبعد وفاة « ماي » ترك « ثو » القرية لينضم الى جيش التحرير ، وظلت الصغيرة ساهرة طوال الليل بجوار النار ، فالملابس قليلة والليل طويل وقارس ، وعند الفجر خرجت لتجمع قليلا من الأرز ليحمله « ثو » معه . ولم تبك أو

تتفوه بكلمة حزنا على موت شقيقتها . بينا الجميع ، حتى العجوز « ميت » ، ترقرقت الدموع في عيونهم .

وقال « هنج » يستحسن أن تسرع في خطاك . فالماء البارد سيصيبك بالحمى ، هيا بنا فالظلام يزحف سريعا .

ولم يجفف شعره وأمسك بقبعته وتبع الصبي ، وعند نهاية الغابة كانت شجرة كبيرة تعترض الطريق ، وكان عليها عبورها ، وقد حفر الثوار خندقا بالقرب منها . كانت الشجرة ترتفع الى العنان يوم رحيله عن القرية ، وتوقف قليلا وناجى نفسه قائلا : هنا التقيت بـ « ماي » لأول مرة . وفي الحقيقة لم تكن أول مرة ، لانها من قرية واحدة ، ويعرفان بعضها البعض ، منذ أن كانا صغيرين تحملها اماهما على ظهريها ، ولكن هنا التقى بها بعد هروبه من السجن . ومرت الايام وكبرت الفتاة ، وعندما أمسكت بيديه سالت الدموع من عينيها . كانت دموع الحب والحنان . وكانت ذكرى هذا اللقاء تثير الألم في قلب « ثو »

ولا يعلم الصغير « هنج » بالقصة التي عاشها ثو . وتسلق الشجرة وصاح به « هنج » : اسرع ياأخي ! الا نستطيع ان نتسلق المنحدر الصغير بعد هذا الغياب عن القرية ؟

كان الطريق مملوءا بالحفر ، وسار « ثو » في صمت يعلو وجهه الجمود والصرامة ، وسمع عن بعد صوت القدور التي يطهى

فيها الأرز . هذا الصوت يعرفه تماما ، ولكنه افتقده منذ ثلاث سنوات أمضاها بعيدا عن القرية . كانت الأيدي التي تطهو مثل ايدي أمه و « ماي » و « زبث »، وهذا الصوت مألوف اليه منذ الطفولة . وحاول جهده أن يبدو هادئا ، ولكن ضربات قلبه كانت تتعالى ، وتتعثر قدماه فوق جذور الأشجار . وحاول ان يسبق هنج ، ولكن الصبي صاح بـه : انتظر ... فالطريق ملغوم بالفخاخ ولم يعد كما اعتدت أن تسير عليه . انتظر وسر خلفي .

ووصلا القرية قبل غروب الشمس ، وأسند « هنج » بدقيته الى الأرض ، وصاح :

أيها الناس ... اسمعوا .. لدينا زائر !

واطلت أربعة رؤوس او خمسة من خلال كل باب ، وقـد رانت على وجوههم الدهشة واتسعت العيون ، وصاحوا فرحين : يالسماء !. « ثو » ! عاد ... هل عدت حقاً ... يا ثو ؟

ولم يسلك بعضهم طريق السلالم ، بل قفزوا من الشـرفات المصنوعة من البامبو ، أما العجائز ! ياللسـماء ! الأم يينـج العجوز مازالت حية ترزق .

وقالت :

ـ كيف حدث ايها الشيطان الصغير ؟ هل عدت قبل ان ارحل عن هذه الدنيا ؟

وما زالت الرؤوس تطل من النوافذ ، وأصوات الفتيات تجلجل ، وكان هناك حملة من الانطلاق للترحيب به . واحاطه جمع كبير ، وبنظرة واحدة عرفهم جميعاً : العجوز تانج بلحيته المعروفـــة ، وغليونه الطويل الذي زينه بقطع معدنية من حطام الطائرة « الهليو كوبتر » ، والأخ « بري » وقد بان عليه الكبر ، والاخت بلوم وقد زحف الشيب على شعرها ، والام العجوز « بروا » التي فقدت جميـع اسنانهـــا . ولكن أين العجوز « ميت » ؟ حين هم « ثو » بالسؤال ، احس بيد ثقيلة تربت على كتفه ، فاستدار . . كان هذا هو العجوز « ميت » ، بلحيته السوداء اللامعة تتـدلى على صدره ، وعيونه تلمع ببريق خاطف ، والندبة القديمة مازالت واضحـــة في خده . وصدره العاري يبدو قوياً ، مثل جذع شجرة «الاكسانو» ولطم « ثو » لطمة رقيقة ، وتطلع اليه من رأسه الى اخمص قدميه، ثم انفجر ضاحكاً .

ـ ها . . . ها . . . مدفع رشاش . . . رجـل التحرير . . . صحيـح !!

وادرك « ثو » مايعنيه العجوز الذي لم يقل « حسنـاً » أو « رائع » ، لأن من عـــادته ان يقول « صحيـح » عندما يشعر بالسرور . وعندما تـكلم العجوز خيم الصمت على الجميـع . كان يصدر الأوامر للجميـع ، وكان صوته جهورياً ، قوياً بالرغم من بلوغه سن الستين . وسأله : ماهي مدة اجازتك ؟ صحيح ؟ اذا كانت ليـلة

واحدة فاقض ليلة فقط ،واذا كانت ليلتين فاقض ليلتين . فالاوامر هي الأوامر وستمضي الليلة عندي » .

ولم يعترض احد منهم . ثم اضاف :

فليمض الآن كل منكم الى منزله . انتهى اليوم . وحـــان الوقت لـكي تعدوا طعام العشاء . اما انتم ايها الصغار فاذهبـوا واغتسلوا لأن وجوهكم تشبه الممثلين على خشبة المسرح . اما انت يا « ثو » فاذهب واغسل قدميك . انت تذكر موقـع الينبوع .. أليس كذلك؟ اما اذا كنت قد نسيته،فانني ساطاردك حتى الغابة» .

ومع ذلك .. طلب العجوز منه ان يناوله حقيبته وسلاحه، ثم قاده الى الينبوع الواقع بالقرب من مدخل القرية .وتبعها الاطفال وتعرف « ثو » على وجوه الفتيات اللائي كن يملأن جرارهن وان كان قد نسي اسماءهن . وافسحن له المكان . كان الفتى قد غسل قدميه قبل ان يصل الى القرية ، وهو يغسلها الآن . وخلع قميصه وترك الماء البارد يتساقط فوق رأسه ، وصدره ،وتوالت الذكريات وهو واقف على الحجر الذي كان العجوز « ميت » يسن عليها سلاحه .

ووقف العجوز في صمت يراقب ظهر « ثو » الضخـم الذي غطته الجروح الدامية ، فـسالت الدموع على وجنتيه ، ولكنه اسرع

ومسحها . ولم يلاحظ « ثو » ماحدث ، لكن الدموع اثارت الاطفال الصغار .

وارتفعت ألسنة الدخان من فوق اسطح المنازل .

* * *

كان الطعام المعد يتكون من حساء الخضراوات، ولكنه بدون ملح ، وكذلك السمك . ويعتبر اعداد السمك تكريماً للضيف . وفتح « ثو » حقيبته ، وناول العجوز « ميت » قدراً من الملح .

وقال العجوز :

– مازلت احتفظ بقدر من الملح قدمته لي « « زيث » عقب عودتها من مؤتمر المحاربين . وقدقدمه لها المؤتمر جائزة لبسالتها . وشاركناها فيه ... ولكننا نحتفظ به للمرضى .

ولم يضع العجوز الملح في الحساء ، ولكنه وزع حبات قليلة منه على الحاضرين فوضعوه في أفواههم حبة حبة ، يتذوقونه ببطء ، ورفع العجوز قدره المملوءة بالارز وقال :

« اننا لانعاني نقصاً في الطعام ، فلدينا مايكفينا من الارز حتى المحصول القادم ، ولكن واجب كل بيت ان يحتفظ بمحصول يكفيه ثلاث سنوات ، لأن الثورة مستمرة ، وقائدكم اخبركم بأن الحرب مع « اليانكي » ستستغرق وقتاً طويلاً ..

ثم سأل : اصابعك باقية .. لم تبتر ؟ ألا يمكن للاصابع المبتورة أن تنمو ؟

ووضع قدره في غضب واستمر يقول : ان الأصابع يمكنها أن تضغط على الزناد حتى ولو تبقى منها ثلثها . هـــل مررت بغابة « اكسانو » الواقعة بالقرب من النهر العظيم ؟ ان هذه الاشجار تنمو ولا توجد أشجار أقوى من أشجار الاكسانو . إذا سقطت شجرة نمت أخرى مكانها . وإنني اتحدى هؤلاء الأوغاد أن يدمروا الغابة بأكملها . تناول طعامك يا بني . إننا شعب « ستوا » نزرع أجود أنواع الأرز .

وبعد الانتهاء من العشاء،أقبل أهل القرية على منزل العجوز « ميت » وتركت الفتيات مشاغلهن خارج الدار ، أما العجائز فحملن مشاعلهن حتى مكان « ثو » لكي يتأملوا الشاب الذي عاد توا من الميدان ، ثم ألقوا بها في موقد النار فازدادت اشتعالا . وتساءل الرجال العجائز : هل « ثو » هنا ؟ هل قدمت له طعاماً شهياً أيها العجوز « ميت » ؟

وقالت سيدة عجوز : افسحوا المكان لـ « زيث » .. اجلسي هنا يا بنيتي .

ويتطلع « ثو » حيث جلست «زيث» أمامه ، وقدتعاقدت ساقاها ، وكسا ثوبهـــا أطراف قدميها . وأحس الفتى الصغير برجفة ، وخيل اليه ان « ماي » هي التي تجلس أمامه . ولم يصدق عينيه . أن « زيث » تشبه أختها تماماً . وتذكر شكل أنفها وهي

طفلة صغيرة ، واستدارته الرقيقة ، ولكن الآن أصبح رفيعاً ومستقيماً ، كما تذكر عينيها الواسعتين ، وحواجبها السوداء . واستمرت تنظر اليه طويلا وأسرعت أربع أو خمس فتيات أخريات يحتللن مكاناً بجوارها ، ثم سألته في صوت يشوبه شيء من البرود : هل تسلمت الورقة ؟

ولم يدرك « ثو » سؤالها : أي ورقة تعنين ؟

— تصريح الاجازة ! لا يمكنك ان تقوم بزيارة إلا إذا كنت تحمل تصريحاً بالاجازة . أما إذا لم يكن لديك هذا التصريح فستقوم لجنة القرية بالقبض عليه .

وانفجر ضاحكا وأوشك أن يداعبها ويقول انه لايحمل أي تصريح ، وان الحنين الى أهله وقريته دفعه الى ترك وحدته ولكن نظرة « زيث » الصارمة والسكوت المحيط به دفعاه الى تغيير رأيه . وأستل ورقة من جيبه ، وناولها إياها وقال :

— « حسنا ! إليك الورقة أيتها الرفيقة السياسية ... »

وتسلمت الفتاة تصريح «ثو » واقتربت من الضوء، وانحنت الرؤوس ، وبدأ الأطفال ينطقون الحروف المكتوبة . واستغرقت « زيث » وقتاً في قراءتها ، واعادتها مرة أخرى ، وسألها العجوز « ميث » : هل حصل على تصريح حقاً ؟ »

وناولت التصريح لـ « ثو » . ثم ابتسمت وقالت : «حسناً!

أن توقيع القائد موجود عليه . وستظل في القرية ليلة واحدة . ثم أضافت قائلة : يكفي أهل القرية ان يروا كيف تبدو الآن وكنت دائماً حديثنا . ؟

وترددت في أنحـــاء الغرفة الأحاديث ، والضحكات . . . وتنوقلت الملاحظات : توقيع القائد على التصريح . » و « حسناً جداً » و « ليلة واحدة » و « اول .. إقامة قصيرة » . وكان يعلو هـذه الجلبة صوت العجوز « ميت » ها .. ها .. صحيح » .

ودفع العجوز بالصغار جانباً ، وجلس بجوار « ثو » قريباً من النار . وأفرغ بقايا الدخان من غليونه ، في موقد النار . والتقط عصا لينظف بها الغليون ، ثم تطلع الى الوجوه الموجودة في الحجرة وكأنها تنتظر منه أن يبدأ الحديث .

وكانت الريح تهب برفق ، ورذاذ المطر يتساقـط خارجا ، وانطلق العجوز يقول : ان الجيـل العجوز يعرف هذه القصة ، أما الشباب فبعضهم يعرفها ، غيران الصغار لايعروفون منها شيئاً . »

وتوقف عن الكلام ، ونظر الى الصبية فوجد أفواههم مغلقة وعيونهم فاغرة . ثم استمر يقول : « أخوكم « ثو » قد عاد لتوه من الميدان » (ووضع ذراعه على كتف الشاب) ولقد حدثتـكم عنـه طويلا ، منذ أن أنضم الى جيش التحرير ، وهو يقوم الآن بزيارتنا . وسيمضي ليلة واحدة بيننا ، بتصريح موقع عليـه من القائد . وقد

تأكدت من ذلك سكرتيرة اللجنة . ان « ثو » بيننـا الآن ، وهو واحد من أهالي سترا . وقد مات ابواه وهو صغير ، ورعاه أهـل القرية ، وكانت حياته جد قاسية ، أما قلبه فكان صافياً كمياه النهر. وفي هذه الليلة ساقص عليكم قصته تكريما لزيارته للقرية ،وانتم بدوركم يا من تحبون جبالـكم وانهاركم ، استمعوا لهذه القصة ، وحاولوا أن تتذكروها ، وعندما أموت . . أتركوه يحكيها لأولاده وأحفاده .

وخيم الصمت على الحاضرين ، لا يقطعـه إلا صوت خرير مياه الجداول المتدفقة ، وصوت قطرات المطر المتساقطة على اوراق الشجر . وظل « ثو » صامتاً ، وهو يتطلع الى العجوز « ميث » بينما أخذت ألسنة النار تتراقص ، فتحمل أفكار « ثو » بعيداً حيث كان يستمع الى قصص الأبطال التي أعتاد العجوز أن يرويها على مسامعه في الأمسيات. ثم انتقل ببصره الى « زيث » وأحس أنها طويلة مثل « ماي » عندما قابلها بالقرب من الشجرة . أما الآن فقـد سقطت الشجرة عبر الطريق ، وأقام الثوار خنادق حولها ، وجلست «زيث» تستمع هادئة . . وعيناها تشعان .

« ان الجيل القديم لم ينس ، أما الاحياء فقد نسوا ،والآن ندع الأحيـــاء يتذكرون . في ذلك الوقت كانت قوات « ديم » والامريكان يتجولون في الغـابة شاهرين الاسلحة الملطخة بالدماء ، وكان « ثو » طفلا صغيرا . . ينطلق في سرعة السنجاب . . »

حقاً ! لقد بدأ الجيل القـديم يتذكر . . وكذلك لم ينس الشباب . . ولم ينس « ثو » أيضاً مارآه . فقد تذكر صورة طفـل يحمل سلة ، وقد هجرته أمه ، وكان في هذه السلة علبتان مملوءتان بالارز تخفيها بعض الخضراوات . وأخذ الطفل يشق طريقه خلال الغابة ، يقفز فرحاً من صخرة الى صخرة وهو يحمل الطعـــام الى القوات الثائرة . وكانت فتاة صغيرة ، أصغر منه ، تغدو خلفه وهي تمسك بيدها معطفاً أعدته لها أمها . وكانت تقفز من حجر الى حجر مثله تماماً . وفجأة صاحت « انتظرني يا « ثو » . . انتظر !»واستدار « ثو » نحوها وحملق فيها وقال : الا تفهمين يا « ماي » انهـا مهمة جسيمة نقوم بها وانت تخورين كالماعز ؟ واجتاحت « ماي » الرغبة في الضحك ، ولكنها خشيت أن يزجرها ، فصمتت .

حقا ! لقد ظلت الذكريات حية في ذاكرته . . كل شيء، وكل شخص : « ثو » و « ماي » والعجوز « ميت» والقائد ، كأنها حدثت بالأمس فقط .

* * *

وكان القائد يدعى « كيويث » وقد وصلت قوات« ديم » الى هذه الرقعة من الوطن وقاموا بحراسة الغابات ليلا ونهاراً. وكنا نسمع نباح كلابهم ومدافعهم . ولكن هناك أمر واحد تفتخر بـه قرية « أوكسانو » . اذ لم يستطع الأعداءاغتيال أو اعتقال أيقائد

ثاو . وكان الشباب في بادىء الأمر هم الذين يحملون الطعام الى الثوار واكتشف جواسيس « ماي ـ ديم » الأمر فأخذوا يقتنصون الشباب. وشنق الاعداء الصغير « اكسوت » في فرع شجرة عند مدخل القرية ، وحذر رجال « ديم » الناس قائلين : هذا هو مصير كل من يحاول تقديم الطعام للثوار !

وبعدها منعوا الشباب من الذهاب الى الغابة . وقام العجائز بحمل الطعام للثوار . واكتشف رجال « ماي ـ ديم » الحيلة ، وقبضوا على العجوز « السيدة ثان » . واطاحوا بعنقها .

وحل الاطفال محلهم ، وكان انشطهم « ثو » و « ماي » ، وعندما كان يتولى « ثو » أمر الصيد كانت « ماي » تحل محله وتذهب الى الغابة . وعندما كانت تبقى لرعاية أختها « زيث » كان « ثو » يذهب اليها وحده ، كما كان الصغيران يذهبان اليها سوية احياناً . ويمضيان الليل هناك . ولا يمكن ان نتركهما وحدهما هناك ؛ والا فكيف السبيل الى العودة اذا حاول رجل « ماي ـ ديم » تعقب اثارهما عند العودة ؟ وذات مرة سألهما كيويث : الا تخافان رجال « ماي ـ ديم » ؟ انهم سيقتلونكما تماماً مثل اكسوت والسيدة ثان

وهب « ثو » واقفاً على قدميه وقال بصوت حازم : ايها العجوز « ميت » ، يجب ان تعلم ان الثوار في الجبهة الامامية ، ومادامت الجبهة الامامية هناك ، فان الجبال والانهار ستكون ملكا لنا .

وفي الغابة قام « كيويث » بتعليم « ثو » و« ماي» القراءة بقطع جذوع من اشجار البامبو والصقها جنباً الى جنب وصنع لوحة طلاها بالأسود . وسار«ثو»ثلاثة ايام حتى وصل الى جبل«نجوكلين» واحضر ملء سلة من الحجارة البيضاء لاستعمالها كطباشير . وكانت « ماي » متفوقة على « ثو » ، ولم تمض ثلاثة شهور حتى تعلمت القراءة والكتابة ، وبعد ستة أشهر استطاعت جمع رقمين . اما«ثو» فكان أبطأ منها في تحصيل العلم . سرعان ما كان يغضب كلما أحس بالاخفاق . وذات مرة حصلت « ماي » على درجات تفوق درجاته في احد الاختبارات ، فما كان منه الا ان حطم لوحته ورحل الى ضفة النهر حيث امضى يوما هناك ، ورفض ان يقول كلمة الى « كيويث » ، وهدد بضرب « ماي » . ولكنها ذهبت وجلست الى جواره ، وقالت له برفق : ساجلس الى جوارك هنا مهما طال جلوسك . دعنا نعود يا « ثو » فقد صنعت لك لوحاً جديداً،وأمسك « ثو » قطعة من الحجر وأخذ يلطم جبينه حتى سال الدم منه. وضمد كيويث جرحه

وفي هذه الليلة همس كيويث في أذن « ثو » وهو راقد في فراشه : يجب أن تحل محلي اذا حاول رجال « ماي - ديم » اغتيالي، ولكنك لن تستطيع ان تصبح قائداً ثائراً مادمت تجهل القراءة والكتابة .

وتظاهر « ثو » بالنوم ، ولكن عينيه كانتا مغرورقتـــين بالدموع . وعندما أقبل الصباح ، نادى على « ماي » وسألها : كيف تنطق الحرف الذي يشبه الـ (٥) وله فتحـة الى أعلى .. والحرف الذي له بطن كبيرة ؟

وادارت « ماي » وجهها لتكتم ضحكة تحاول أن تنطلق. ولكنها تمالكت نفسها ، وقالت له : لديك ذاكرة طيبة يا « ثو ». ان الحرف الذي له بطن كبيرة يلفظونه « ب »

وقاله : حقاً .. « ب » ؟ يالغبائي !

وبالرغم من أن ذاكرته كانت تخونه في الاحتفاظ بالحروف، الا ان معرفته لمسالك الغابة لم يدانيه فيها أحد قط . وكلما حاول الأعداء أن يسدوا هذه المسالك ، كان « ثو » يفلت منهم ويتسلق الأشجار ليخفي المؤن ، ثم يسلك الطرق عن دراية ومعرفة .

وكان يختار من النهر المواقع التي تهدر فيها فيسبح بالرغم من المخاطر لأنه يعلم تماماً ان الاعداء لايضعون الفخاخ إلا في المكان الذي يكون فيه مسار الماء هادئاً ويصلح للسباحة .

وحدث في ذات مرة ان استعد « ثو » لعبور نهر « داكنانج » بعد ان لف خطاب « كيويث » ووضعه في فمه ، ولكنه وجـــد البنادق مصوبة اليه . ولم تسنح له الفرصة لكي يبتلع الخطاب .

وبعد ثلاثة ايام رأى اهالي قرية « اكسومان » الطفل « ثو »

قادما وهو مقيد اليدين خلف ظهره ، وفي حراسة جنود الاعداء . وهدده الجنود صائحين : أخبرنا عن الشيوعيين الموجودين بين رجال القرية ، والا فإن الموت سيكون عقابا لك ».

وكانت الجماهير تلتف حوله ، ووقف العجوز « ميت » الى جواره وكلمه بلكنة أهالي « ستزا » وبصوت هامس : لاتجلب العار الى « اهالي أكسمان،ونظر « ثو » اليه وسمعه يقول:هل أدركت !«

كان ظهر « ثو » مثخناً بالجراح ، والجنود يهددونه : أرنا الشيوعيين » وقال لهم : حـــلوا يدي ، كيف أريكم اياهم ويداي مغلولتين ؟

وحلوا وثاقه فوضع يده على بطنه ، كأنه يقول انه الشيوعي الوحيد ، فما كان من الجنود ألا أن وسموا ظهره بجرح بالغ تدفق الدم منه بغزارة . وعند المساء شاب الجرح زرقة داكنة .

وقبل ان يحمله الجند اندفعت « مـــاي » تمسك به وهي تنتحب ، وقال لها « ثو » في غضب : لاتبكي وذاكري باجتهاد ، وبعد موتي ستحتلين محلي كواحد من الثوار .

وعاد « ثو » الى « أكسومان» بعد ثلاث سنوات ، إذ انه استطاع الهروب من سجن « كونتوم » وقد التأمت جروحه،وقابل « ماي » عند الشجرة الواقعة عند نهاية الغابة ، وعندما أمسكت بيديه اغرورقت عيناها بالدموع . اما هو فقد ارتسمت على وجهه

علامات الدهشة اذ رآها وقد استطال عودها . وقادته الى القرية حيث اجتمع الأهالي عند منزل العجوز « ميت » مثل هذه الليلة. نعم ... تماماً مثل هذه الليلة .

* * *

وتردد صوت العجوز « ميت » كأنه صدى آت منذ تلك الليلة البعيدة : تماما مثل في هذه الليلة وفي نفس هذا البيت ، وكذلك كان رذاذ المطر يتساقط ، وكنت أجلس في مكاني ، و « ثو » هناك و « ماي » تحتل المكان الذي تجلس عليه « زيث » الآن .

أمصيب أنا يا « ثو » ؟

حقا لم يخطىء العجوز « ميت » . انها ليلة تشبه هذه الليلة تماما . فالمطر يتساقط على أوراق التين ، والنيران تلتهم أغصان « الاكسانو » ، وصوت الماء يتدفق من أعواد البامبو . واجتمع الناس في منزل العجوز ميت قادمين لتهنئة « ثو » بعودته من السجن . وكانت « ماي » تجلس أمامه مثلما تجلس « زيث » الآن ، وتشبهها في حواجبها السوداء . وكانت عينا «ماي» تتميزان بالهدوء وتتدفقان بعاطفة أكبر من عاطفة « زيث » . ولكن في نظراتها كثيراً من التصميم والعزيمة . ولم يتكلم العجوز « ميت » بنفس الطريقة التي يتكلم بها الليلة . وانما قال ببساطة : أعطني يا « ماي » هذه الورقة التي كتبها (كيويث) . اقرأها لنا يا « ثو » .

وبعد القبض على « ثو » ، رحل كيويث للعمل في مقاطعة « بان » . وقد أصيب بجرح بالغ أثر وقوعه في كمين أعده له الاعداء ومات في الغابة . وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، كتب رسالة الى أهالي « اكسيان » . ورفع « ثو » الرسالة وقال بصوت عال :

« عزيزي ثو .. وماي .. وشعب اكسومان . انني أموت وواجب عليكم أن تعدوا حرابكم وسهامكم ، وخناجركم . وأخفوها في الغابة حتى لا يكتشفها العدو . وسيأتي اليوم لاستعمالها . أما أنت يا « ثو » فواجبك الاستذكار لكي تحل مكاني كأحد قادة الثوار .

وكان الجميع حاضرين، بينهم « نانج » العجوز والأخ «برو» والأخت « بلوم » والعجوز مسز بروا وينيج العجوز وقد انصتوا جميعاً الى رسالة « كيويث » ، وبعدها حملوا المشاعل وساروا خلف العجوز « ميت » ، نحو الغابة للبحث عن الاسلحة المخبأة . وسار « ثو » ثلاثة أيام حتى وصل الى جبل «نجوك لين » لاحضار ملء السلة من الحجارة المطحونة . وهناك المزيد من الحجارة التي تكفي لأسلحة تستخدم في أكثر من مائة ثورة .

وأخذ أهالي « اكسيان » في شحذ الاسلحة ليلة بعد ليلة ، أما في النهار فكانوا يتلقون تعليمات العجوز « ميت » ، وعملوا على ازالة الحفر من الغابة ، واستنبات أشجار الكاسافا حتى أصبحت الغابة تبدو كأنها حقول خضراء .

وعلم جنود حامية « داك ها » بأن أهـــالي اكسومان ـ يشحذون الاسلحة والحراب ، فانتظروا حتى جاء فصل الحصاد ، وكان « ثو » و « ماي » قد أنجبا وليدهما الاول ، عندما قدمت الى المدينة فرقة جنود ، وقال لهم قائدهم « دوك »: انه « ثو » وليس أحد غيره مصدر متاعبنا . ولذا يجب عليكم القضاء عليه حتى نخفف متاعبنا . وسارع العجوز « ميت » و « ثو » وجميع الشباب الى مكان في الغابة قريب من القرية ، واختبؤا خلف الصخور والاشجار ، في مكان يمكنهم مراقبة حركات الجنود .

وظل الجنود في القرية مدة أربعة أيام وأربع ليال والهبوا ظهور الجميع بالكرابيج . وامتلأت القرية بالانين والصراخ وصاح دوك : كل من يعتقل وهو يحاول الهروب من القرية سيقتل بالرصاص .

ولم يستطع أحد منهم الرحيل . ونجحت الصغيرة «زيث» في حمل بعض الارز كل يوم ، عندما يحـــل الغسق ، الى العجوز « ميت » وكانت تزحف الى الغابة خلال أعواد البامبو .

وقبض عليها الجنود في فجر اليوم الرابع ، عند عودتها من الغابة . وأمرها الجنود بالوقوف وسط الميدان واطلقوا عليها النار ، رصاصة وراء رصاصة ، ولكنهم كانوا حريصين على عدم اصابتها . وكانت الرصاصات تمرق الى جوار اذنها ، وتلمس الارض قريباً من المكان الذي تقف عليه . وانفجرت «زيث» تصرخ عندماانطلقت

الرصاصة الاولى ، ولكن بعــد الرصاصة العاشرة أخذت تمسح دموعها ، وتضغط على شفتيها ووقفت الصغيرة يحيط بها الجنود وتتطلع اليهم بهدوء كما يتطلع الآن « سكرتير الجماعة » إلى « ثو » .

ولم يستطع القائد أن يفوز بأية معلومات من الصغيرة ، ولذلك أمر بالقبض على « ماي » وهو يقول : اذا استطعنا ان نضع ايدينا على « النمرة » فلا بد أن نفوز بالنمر أيضاً .

وسمع «ثو » هذه الكلمات،وهو مختبىء خلف أحدالاشجار الواقعة عند مدخل القرية من النبع ، فكان من السهل عليه أن يرى كل ما يدور امامه في الميدان . وتقلصت يداه على جزع الشجرةوهو يرى الجنود ، عشرة منهم وهم يجذبون « ماي » الى الميدان، وكانت تحمل على ظهرها طفلها البالغ من العمر شهراً واحداً ، وأجمع الكل على انه يشبه أباه تماماً وقد استغرق في النوم وهو على ظهرها وسألها « دوك » : اين زوجك ايتها الشيوعية القذرة ؟

وتحركت « ماي » قليلا لتحسن وضع طفلها الذي مال قليلا ، وبعــدها رفعت رأسها في كبرياء ونظرت الى ذلك الذي صرخ : هل فقدت لسانك ؟ واستدار الى الجنود وزأر : ماذا تنتظرون ؟

وأسرع احد الجنود ممسكاً قضيباً حديدياً في يده ، وتقدم نحو « ماي » ورفعه ببطء وصرخت صرخة مدوية ، وجذبت طفلها

من على ظهرها ، وضمته الى صدرها في اللحظة التي هوى القضيب على ظهرهـا .

ـ أين ثو ؟

وهوت الضربة الثانية على صدرها ، ولكنهـا نجحت في أن تجنب طفلها اللطمة بأن حملته على ظهرها مرة ثانيـة . وأسرع يهوي بضرباته عليها ، ولم يسمع احد صرخاتها ، وبعـــدها اطلق الطفل حشرجة ثم خيم الصمت ، فلم يعد احد يسمع غـير صوت اللطمات المتتابعـة .

وتراخت اصابع « ثو » عن الشجرة ونهض ، ولكن يـداً أمسكت بكتفه ، وسمع صوت « ميت » العجوز يقول : لاياثو .. دعني !

ولكن « ثو » دفع يد الرجل العجوز الذي ناداه ، واستدار فرأى العجوز لهيبا من النـيران تتأجج في عينيه ، ودوى في الفضاء زئير مروع . فقد اندفع « ثو » الى وسط الميدان ، وسقط الجندي على ظهره ، وهرب « دوك » يبحث عن ملاذ يأويه في بيت الشعب ، وزحفت « ماي » وهي تحمل طفلها لتسقط بـين ذراعي « ثو » ، وضمها الى صدره وصاح : انني هنا ايها الاوغاد. أنا « ثو » !

ولكنه لم يستطع أن ينقذ ماي أو الطفل .

* * *

وقال « العجوز » ميت في صوت متحرج : لا .. لا .. لم يستطع أن ينقذ « ماي » أو الطفل، ومسح دمعة ترقرقت في عينيه. واستمر يقول في صوت عال :

« لم يستطع « ثو » أن ينقذ زوجته أو الطفل . وماتت في في ذلك المساء . أما الطفل فقد مات قبلها، فلم يتحمل لطمة القضيب التي هوت على بطنه ، ولم تستطع « ماي » أن تقيه منها ، أما أنت يا « ثو » فقد قبضوا عليك، ولم يجدوا سوى يديك لقيدهما. وكنت أقف خلف الشجرة أراقبهم وهم يقيدون يديك . ولم امرع لنجدتك لأنني لم اكن املك سوى يدي الخاليتين . وذهبت الى الغابة بجماعة الشباب الذين امرعوا ينقبون عن الحراب والخناجر . اسمعوا جيداً ايها الاطفال وتذكروا ! عندما اموت واجب عليكم أن ترددوا هذه القصة على مسامع ابنائكم . واذا جاء العدو بدفعيته ، اذهبوا وابحثوا عن حرابكم .

وقيد الجنود « ثو » والقوا به في بيت الشعب ، ثم بدأوا يلتهمون لحم الخنزير الذي سلبوه من منزل الأخ بروا .

وحل الظلام ، ودهش « ثو » عندما أحس بالهدوء يكتنفه وفكر : لقد مات الطفل، وكذلك ماتت « ماي » . وأنا سأموت بدوري ! إذ من يقوم بالقيادة ؟ من الذي سيقود شعب « او كسيان » عندما تأتي الاوامر من الجبهة للقيام بالثورة ؟ ما زال هناك بعض

الشباب ، وستكبر «زيث» وهي أكثر عزماً من شقيقتها ، ومـــا أحزن عليـه هو انني لن اعيش حتى أرى شعب « أكسمان » يهب يداً واحدة »

ولم يسرع « دوك » في قتل « ثو » ، بل اشعل ناراً كبيرة في بيت الشعب ، وجمع حوله عدداً من الناس ، ثم فك «ثو» وخاطب أهل القرية :

انني سمعت بأنكم قد بدأتم في شحذ خناجركم ورماحكم . حسناً ! كل من يرغب في حمل الخناجر والرماح فليرى ما سنفعله في يدي « ثو » واشار الى جنوده القساة الذين أعدوا كل شيء ، واخرج احد الجنود بعض الاسمال البالية من حقيبته ، وبللها بصمغ اشجار « الاكسانو » ، ثم لفها حول اصابع « ثو » والتقط شعلة من النار . ولكن « دوك » قال : سأقوم أنا بالمهمة . وامسك الشعلة ولم تنفرج شفتا « ثو » عن صرخة واحدة ، ولكنه نظر الى « دوك » الذي انفجر ضاحكاً ضحكة شيطانية ، واقترب من وجهه وقال :

« دعنا نلقي نظرة على هذا الشيوعي الذي يرغب في حمل السلاح .. انصتوا الي ايها الاوغاد ... لن يتاح لكم ابتياع الاسلحة فلا تستغرقوا في هذه الاحلام ..

واحمرت اصبع من اصابع « ثو » ، ثم احمرت اصبع ثانية فثالثة ، من اللهيب المشتعل . وبعد لحظات صارت اصابعه

جميعها جمرة من النار . وأغمض « ثو » عينيه ثم فتحها ونظر طويلاً نحو الافق . ياللسماء ! ان النار لاتحرق اصابعه وحدها ، وانما امتدت لهيبها الى صدره واحشائه . وأحس بحرارة في فمه ، وعض على شفتيه .

ولكنه لم يصرخ . وذات مرة قال له « كيويث » ان الشيوعي لايطلب الرحمة من أحد .. وهو بدوره لن يطلب الرحمة من « دوك » . ان اللهيب يحرق احشائه فهل يطلب الرحمة منه ؟ انه يوشك على الصراخ ، ولكنه لن يفعل .

وأخذت ضحكات « دوك » تجلجل في الفضاء ، وانتفض الاهالي واقفين ، ولكن الجنود المحتشدين اعترضوا طريقهم . وفجأة تعالت الصيحات ، ودوى صوت خطوات ثقيلة ترن ، ترى ماذا حدث ؟

أطلق « ثو » صرخة مدوية ، صرخة واحدة ، تردد صداها في الحال عدة مرات « اقتلوهم ! » وبدأت الاصوات تتعالى عدة مرات ، وهز وقع الأقدام أرض بيت الشعب . وصرخ الجنود ، وقال صوت العجوز « ميت » يستنهض الاهالي « اقتلوهم » وشاهدوا العجوز شاهراً خنجره ، يجثم فوق صدر « دوك » . ووقف حوله شباب القرية ، كل يحمل خنجره في يده بنصله المتلألأ الحاد .

وبعد ذلك سمع « ثو » صوت الأخ « بروا » الهادىء يقول : « ثو .. ثو » هل عدت الى رشدك ؟ انظر .. لقد قتلناهم جميعاً . لقد قتلنا الرجال العشرة بالحراب ... بالخناجر ! انظر !

وانطفأت النار التي كانت تلتهم أصابع « ثو » . ولكن النار التي كانت تلتهم قطع الخشب المقطوعة من غابة « اكسانو » ، كانت مازالت مشتعلة في الموقد الذي يتوسط الغرفة . وكانت جثث الجنود ملقاة ، والعجوز « ميت » يقف وسط الغرفة وقد أراح حربته على الأرض ، وصوته يقول :

« هذه هي البداية . دعونا نشعل النار الكبرى ، وليحمل كل واحد منا .. شاباً كان أم عجوزاً ، رجلاً أكان أم امرأة ، حربته أوخنجره .. أما هؤلاء الذين لايستطيعون حمل السلاح ، فعليهم اعداد أعواد البامبو ، اشعلوا النيران » .

وقرعت الطبول ، وشعر الانسان الواقف على تلال اكسانو القريبة من النهر العظيم ، بأن حدثاً هاماً بدأ يدور في أكسانو ، وبدأت النيران تشتعل في كل مكان .

كان الوقت متأخراً في هذه الليلة ، ولكن الخوف لم يتطرق الى قلوبهم ، وازداد هطول الأمطار ، ورفع العجوز « ميت » رأسه ونظر حواليه ، وقال : لقد قصصت عليكم القصة ، فقد حمل

أهالي « أكسانو » الأسلحة في تلك الليلة ، ورحل « ثو » بعد أن التأمت أصابعه وفقد بعضاً من أطرافها . ولكنه مازال قادراً على حمل الحراب واطلاق النار . وبلغنا وجود « دوك » آخر في الجانب الآخر من جبل « نجوك لين » وان الشعب قد ثار أيضاً . ولذلك أرسلنا « ثو » ليرعى الثورة هناك . ورحل منذ ذلك الوقت . لماذا بقيت هناك هذه المدة ايها الشيطان الصغير ؟ ان الفتيات تتوق الى رؤيتك ، والآن قد سردت عليكم كل ماعندي ، وجاء دورك لتقص علينا ماذا فعلت طوال هذه السنوات الثلاث . هل هناك أمر تخجل منه ؟ ماذا فعلت؟ كم قتلت من رجال فان – ديم » ؟

ووقف « ثو » ، وخطا قريباً من النار ، وفكر ماذايقول؟ وملأ الحب قلبه وقال اخيراً : ايها العجوز « ميت » . ايهاالأخوة . . لقد قابلت ال « دوك » .

– اين ؟

– في موقعه

– وهل قتلته ؟

– لا

– لماذا ؟

ونزع « ثو » سلاحه من كتفه والقى به على الأرض . وقال : لقد حدث الآتي :

قمنا بمهاجمة الحامية وقتلنا جميع القوات .

— جميعهم ؟

— جميعهم . ولجأ قائدهم الى خندق تحت الأرض .وطلبنا اليه الاستسلام، ولكنه رفض فالقينا عليه القنابل ولكنها فشلت في النيل منه . وطلب قائدنا ان يتطوع احدنا لقتله . وقلت له : سأذهب ، وتسللت وراءه وكان الخندق مظلماً ، وأمسكت به . ولكنه أطلق النار عليّ ، فخطفت منه السلاح وحاول التغلب عليّ ، ولكنني كنت أقوى منه . وجثمت فوق صدره وسألته : « دوك هل تذكرني ؟ وهز رأسه ، وقلت له : حسناً .. انظر الى اصابع يدي . انها مازالت تقوى على حمل السلاح . وشاع الفزع في عينيه ، وقلت له : انظر لدي سلاح .. وخنجر ايضاً . ولكنني لن أطلق عليك النار أو أطعنك ، انصت الى « يادوك » انني سأنزع روحك باصابعي المحطمة .

وسألت « ويث » بصوت هادىء : هل قتلته ؟

— بالطبع !

— ولكن هل كان هو « دوك » ؟

— بالطبع .. جميعهم « دوك » .

ووقف العجوز ميت ووضع يده على كتف « ثو » وضحك

من أعماقه وقال : حسناً فعلت . وترددت ضحكته ، وامتلأت الغرفة بضحكات الحاضرين

وبدأت شظايا القنابل تتساقط على تلال «اكسانو» الواقعة بالقرب من النهر العظيم ، ولكن لم يعرها احد اهتماماً ، فقد غطت اصواتهم على أصوات دوي الانفجارات .

وارتحل « ثو » في الصباح . . ورافقه العجوز « ميت » و « زيث » ، بعضاً من الطريق ، حتى اقتربوا من غابة «اكسانو» . ووجدوا ان بعض القنابل قد اسقطت بعضاً من الاشجار الكبيرة ، وتدفقت من جروحها الدماء التي تلألأت تحت وهـــج الشمس ، ولكن نباتات جديدة بعثت للحياة من جديد ، وبراعم انفجرت عنها الأرض وصعدت شامخة بفروعها تطاول السماء .

ووقفوا جميعاً لحظة طويلة،يتأملون الأفق البعيد ، وصفرة اشجار « الاكسانو » ، تتابع الواحدة بعد الأخرى ، على مدى البصر .. حتى الأفق البعيد .

نجوين شي ترنج

خطاب من قرية « من »

كان ضوء القمر يزحف ببطء من وراء الجبال . والطيور المغردة تتجمع قبل ان يعلو قرص الشمس القمم ، وتتسلل بأشعتها خلال فروع الأشجار . أما الضباب فيجرد ذيوله في تراخ ووهن ، غير راغب في الرحيل . ورأت الديوك ان الوقت لم يحن بعد لكي تترك خدرها لتصيح صيحات الفجر . وهي لاتصيح لتوقظ الناس من رقادهم ، وانما لتعلن الدنيا انهم ساهرون ، لأن الناس في هذه البقاع يستيقظون عند منتصف الليل .

انهم ينامون ساعات طويلة ، خشية الا يدركوا قطار الليل ، ولذا فانهم يعدون طعامهم على عجل . وكذلك طعام الخنازير ، ويقومون بغلي الشاي ، ثم يقومون بالقضاء على كل نار مشتعلة قبل ان يحل الفجر . وبعد ذلك يرحلون عن القرية : الامهات حاملات الاطفال على ظهورهن ، والرجال حاملين المؤن .

ليس هناك من مكان أمين ضد الطائرات الامريكية سوى الغابات الكثيفة ، والقذائف تتساقط كالحمم الهوجاء ، ولكنهـــا لاتصيب أحداً، فكل فرد يحرص على ألا يسير في الأماكن المكشوفة، أو يقترب من مواقع الانهار المشهورة ولذلك يتحول سعير القراصنة الامريكان الى تدمير المحاصيل .

* * *

كان « نات » وحيداً في القرية يتلوى بجوار المدفأة ، وقد وضع ذراعه تحت رأسه ويده الأخرى على بطنه الـــتي يحرقها الألم . وقد حثه الجميـع على ترك المـكان ، ولكن الألم كان أقوى من عزيمته ، ولم يقو طوال الليل على ان يغمض جفنيه الا عندالفجر، فقد سنحت له اغفاءة قصيرة . وعندما أصبح الآلم مزمنـا ، فقد اعتاده ، ولم يعد يصرخ كلما أحس به ، وجل ما كان يفعله هو أن يعض شفتيه ويسيطر على انفاسه المتلاحقة . وبعد ان رحل الجميـع زحف الى حجرته ، وأخذ بندقيته وعاد الى مكانـه بجوار المدفأة ، ليرقد على الأرض وهو يحتضن سلاحه .

وعندما احتلت الشمس كبد السماء ، وتراجعت امامـه سحب الضباب ، بدأ زئير الطائرات يدوي في الفضـــاء . وزمجر « نات » وقال : لقد عادوا مرة ثانية ».

وارهف سمعه ،وهو يأمل ان يعود القراصنة من حيث أتوا.

ولكن الصوت بدأ يعلو ويعلو ، وادرك « نات » ان طائرات العدو تسعى قاصدة قريته . ولم يستطع ان يظل راقـداً ، فوقف ممسكاً سلاحه ، وخرج في اللحظة التي حلقت فيها إحدى المقـاتلات فوق القرية .

وصاح : هذا القرصان ينوي تدمير محصولنا !

واختبأ الرجل الصغير خلف الشـجرة وهو يرقب حركات العدو . وسقطت قذيفة وسط الغابة ، ولكنها لم تنفجر . وارتفعت الطائرة مرة ثانية ثم عادت . لقد احس القرصان انه سيد السـماء ، وظهر انه لايخشى شيئاً ، اذ بدأ يعلو بطائرته ويهبط ، ويدور بهـا وازيزها يرج الفضاء ، ثم ينقض بحثاً عن فريسته . ثم سقطت قذيفة هز انفجارها باطن الأرض .

ارتجف « نات » وهو راقد على الأرض ، ولكنه هب على قدميه واقفاً عندما رأى الحقول تحترق ، وندت عن صدره صرخة ألم وغضب . ما هذا السعير اللافح ؟ وفتح عينيه فوجد المحاصيل تحترق ، والذرة وأشجار « الـكاسافا » التهمتها النيران . وتطلع « نات » حواليه غير مصدق ، ونظر الى بندقيته . ومرت في خياله ذكريات عديدة . تلك الأم جينج التي سارعت تحمل طفلها نحو منحدر الجبل وهي ترتجف من سيل القذائف ، ووجـــدت في اليوم التالي مهشمة الأطراف . وتذكر ما قاله القائد يوماً : « اننا نعد الكمائن لنوقع قوات المشاة ، أما الطائرات فنحاربها بالبنادق » .

ووقف « نات » وأعد بندقيته ، وكأن صوتاً هاتفاً يناديه :
« أقدم ... واقتنص الطائرة ! »

وأقبلت الطائرة بجناحيها كالصقر الباحث عن فريسته ، ورأى « نات » فتحات في رأس الوحش ربما تكون عينيه ، واستعد الرجل الصغير لاقتناص غريمه ، ورأى من خلال منظار سلاحه الطائرة تكبر وتكبر كأنها وحش مفترس . واقتربت لتنقض فوق « نات » ، الذي أحس بقوة خفية تشده الى الشجرة ، وهو مازال مصوباً بندقيته ، ولكن الشلل قد خدر اصابعه على الزناد .

وهوى الى الأرض ، وارتفع الوحش ثانية ، فادرك « نات » انه لم يطلق عليه رصاصة واحدة . كان عقله كالصخرة البيضاء ، ولم يقو على التفكير . فالقى سلاحه ، ولكن الصوت عاد مرة ثانية . انه صوت « جينج » يدوي من قبرها ويصيح : أضـــرب .. يا « نات » ! هل انت جبان ؟

وأمسك « نات » بسلاحه ، يجب ان يطلق النار على الوحش ، ولكن ليس من هذا المكان ، فلابد ان العدو اكتشف مكانه ، اندفع الى شجرة أخرى ، وحبست الغابة كلها انفاسها للأحداث القادمة . ولم يعد « نات » يسمع أزيز الطائرة أو انفجار القذائف ، ومع ذلك مازالت الصوت الداخلي يهتف به : « اضرب . واقتنصها ! »
وتصبب العرق على جبينه وصدره وظهره . وشعر

بالتعب بطريقة غير مألوفة . ومسح حاجبيه ، واسند سلاحه على فرع الشجرة . من هذا المكان يستطيع أن يصوب سلاحه بدقة .
وعادت الطائرة مرة أخرى فانقضت عليه . ولكن السلاح ظل ساكتا ، واشتعلت عيناه بجمرة قانية ، ولم يعد يسمع الصوت ، وانما أخذ يسمع همسا في أذنيه ، كلمات حارة تهتف : اقدم يا نات ! وتحركت اصابعه ببطء ، وبعدها سمع صوت ارتطام لا يقارن الا بصوت أزيز محركات الطائرة ، ولمعت عينا « نات » وصاح : « ترنح الوحش ! »

لقد مالت الطائرة حقا .. ثم اشتعلت ، وهوت وارتطمت بصوت مروع ، دوى صداه في الغابة ، وأخذ قلبه يدق ، وأسرع نحوها ، وكانت ترقد على الأرض كالوحش الممزق . فـــالاجنحة متكسرة ، وانفها مدفون حقا يدعو الى الأسف . ولوح « نات » بقبضة يده مهددا هذه الجثة الملقاة على الأرض،وضحك من اعماق قلبه ، وعاد الى منزله ، وسمعت القرية « نات » وهو يمضي هـــذه الليلة يعزف على « جيتاره » . انهم يرون بداره ، ولكن علامات القلق زادت على وجوههم عما كانت عليها في الصباح .

* * *

لقد دمرت قرية « مك » طيارة للعدو ! وانتشرت الانباء سريعاً فأثارت منطقة « نام جيانج » ، وذاعت الاخبار في « دونج جيانج » حتى وصلت تاي جيانج ، وعلم بها الناس الذين يعيشون في منطقة « كانحس »، « كانوس فيس »، واخذوا يتهامسون قائلين : انهم ابطال شجعان .

ـ لا بل انهم خائفون الآن !

ـ لماذا ؟

ـ انهم يخشون انتقام الامريكان !

ـ حقا ان الأمر جد عجيب !

ـ ولكن الخوف لا يعتري الجميع ! لأن الشباب يذهب ليلقى نظرة على حطام الطائرة . والمثل القديم يقول : الطائرات لديها من البنادق والذخيرة اكثر مما في حوزتنا . وتستطيع التحليق فوقنا وتتمكن من ضربنا بسهولة بينما يصعب علينا أن ننالها !

ووصلت هـــذه التعليقات مسامع ثوار قرية « مك » ، وقاموا بدورهم بابلاغها لأهالي القرى الأخرى .

وقال الناس في القرى « اننا غير سعداء بهذا العمل الباهر ، وان قلوبنا قد دب فيها الخوف » .

وكان لهذه الكلمات تأثـــير خطير .. فقد مرت الليلة تلو الليلة ، والناس ساهرون يتناقشون ، وقام « نات » بزيارة بيوت القرويين وتحدث اليهم قائلاً : لقد دمرت احدى طائرات العدو ، واني مدرك لكلامي هذا . وكرر قوله لكل انسان قابله . انهم مروعون ، اذ تركنا الخوف يدب في اعماقنا . الخوف مثل « الملاريا » يجعلك ترتجف حتى في أيام الصيف الحارة ، وهم في الواقع ليسوا كذلك . »

واستمرت المناقشات ، والتعليقات ، وبحث الموضوع في الاجتماعات الكبيرة ، وأخيرا استلمت القرى المجاورة الخطاب التالي من أهالي قرية « مك » :

« ايها الناس في هذه المنطقة !

في يوم ٢٥ مايو ١٩٦٤ ، اسقطنا طائرة للعـدو . اسقطها « نات » ، واحد من مواطنينا ، بواسطة طلقة من سلاحه . »

وقال الناس في المنطقة المجاورة ، ان هـذا العمل الباهر لم يجعلنا سعداء . وهذا حق لأننا كنا نخاف الانتقام ، ولكننا عقدنا مؤتمرا ، والآن يشرفنا ان نعلن اننا لم نعد نخشى شيئا ، لأن خوفنا لن يوقف هجمات العدو ، بل على العكس ، ان ذلـك الحادث سيدفعهم الى الاستمرار في عملياتهم الاجرامية ، وحقيقة لا ننكرها هي ان هذا العدو يملك من السلاح الشيء الكثير ، بـل هو أكثر عتادا منا ، فكل ماتملكه نحن هو العزم ، وبهذا العزم وحده يمكننا ان نهزمهم .

ايها المواطنون ... شكراً للثورة .

لقد وضعنا ـ نحن رجال الجبال ـ نهاية لتدريب الشباب ، والآن بعد أن ناقش اهالي القرية الموضوع كله ، نرغب في ان نقدم لكم الاقتراح التالي : انـــا لم نهاجم حقول « اليانكي » او

منازلهم ، ولم نأخذ طعامهم، فلم اذن اتوا ليحرقوا بيوتنا ،ويدمروا حقولنا ؟ وعليه يجب أن ننتقم من هؤلاء الأمريكان على جرائمهم .

هل توافقون على اقتراحنا هذا ؟ نتمنى ان ينعقد المؤتمر التالي بعدد كبير ، ونستعرض ما قمتم به من أعمال تستحق الفخار . »

* * *

انتظر ثوار قرية « مك » مدة شهرين ، ولم يتلقوا أي رد على رسالتهم . ولكن ثائرا يدعى (بين) في قريـــة مجاورة ، نفد صبره ، وذات يوم حمل مدفعه الرشاش وودع أمه ، وانضم الى صديقه الثائر « دو »

وبعد مضي خمسة أيام ، توجهت الأم الى منزل دو لتسأل عن أخبار ابنها الغائب ، فرأت جمهرة من الناس هناك وسألت هل هذا اجتماع ؟

ـ لا وانما اذاعة لبعض الأخبار .

وأسرعت الأم الخطى ، وكان المنزل مزدحمـا ، وسدت الجماهير عليها طريق الدخول وسألت امرأة واقفة : ماذا يقولون ؟

ـ انهم يتكلمون عن « بين »

وشبت على أطراف أصابع قـدميها ، وتتطلعت الى داخل البيت ، ولم تر « بين » ، وانما وقع بصرها على « دو » الذي مضى

في وسط الغرفة ، وأخذ يترنح برأسه كلما تكلم ، والعرق يتصبب من جبينه ، وان بدا عدم الاكتراث على وجهه . وقد علق غليونه بفمه، ولكنه نسي أن يدخن لأنه انهمك في الحديث الذي يدلي به، وظل ابريق الشاي فارغا لمنتصفه . وكانت ساقاه داميتين من آثار بعض الجروح ،وأدركت أم « بين » بنظراتها أين كان رفيق ابنها.

وكان الحاضرون يستمعون بانتباه تام . وكان الصمت بين اللحظة والأخرى يسود خلال التقاط الأنفاس ، وكان هو يتلقى الأسئلة فيندفع في المزيد من الكلام .

- وبعد ذلك ؟

- عندما وصلت « بافو » كان الوقت ظهرا . والجو حاراً خانقاً . و « بين » يزحف امامي تجاه التل القريب ، ومن هناك كان في استطاعة الواحد منا رؤية لفائف التبغ التي يدخنها الامريكان ورؤوس الطيارين القابعين في طائراتهم .

وقلت لـ « بين » ان المكان مزدحم بالطائرات . فهل تعرف السبب ؟

وأجابني : لا بد أنهم يحملون قوات جديدة !

- هل يروننا ؟

- من المحتمل ألا يروننا .. لأن الحشائش تغطينا .

وركز « بين » بصره على الطائرات وكان يتمتم بشيء ..
ثم استدار نحوي وقال :

ـ هل أنت خائف ؟

ـ طبعاً لا .

ـ إذن فلنستعد للضرب أعطني البندقية واحتفظ بالمدفع الرشاش لنفسك .

وأجبته : نحن قريبون تماماً من الموقع . ومن السهل اصابتهم بمدفعك الرشاش .

ـ أنت مصيب حقاً ولكني لن استعمله .
ـ لا أدرك ما ترمي اليه .

ـ أنت تعلم أن الثوار لا يملكون سوى البنادق . وكل ما أرغب فيه الآن هو أن أعرف كيف استطيع أصابة طائرة العدو بواسطة البندقية .

ـ حسنا .. عندما تكون مستعداً فان بندقيتي في خدمتك .

وناولته بندقيتي وانتظرنا طويلا . وكانت بندقيته تتبع حركة الطائرات يميناً ويساراً الى أعلى والى أسفل . وبعدها ألقى بالسلاح . وسألته : ماذا حدث ؟ هل ترتجف يدك ؟ سيحل الظلام بعد قليل .

وزحفت نحوه عندما انطلقت رصاصة ، فتوقفت وسألته :

ـ هل أصبتها ؟

ـ لا أعلم .

ولم يكن أمامنا الوقت الكافي لكي نتبين ماحدث . فقد انطلقت مدافع الموقع الحربي تدوى ، وانطلقنا مسرعين بقـــدر ما تحملنا أقدامنا . وتمزق معطفي وجرحت الأشواك ساقي ، ولكن رجال الاستطلاع أفادونا بأن الطائرة قد أصيبت ، وان عشر جثث قد سحقت بين حطامها .

وعبر الحاضرون عن اعجابهم بالتهامس ، واستطاعت أخيراً أم « بين » ان تشق طريقها وسألته : ولكن أين أبني الآن ؟

وصاح دو : .. انها أم « بين » !

وكررت سؤالها : اخبرني أين أبني ؟.

ـ لقد عدونا في اتجاهين مختلفين .. ولا أعلم اين هو الآن .

واتسعت حدقتـا الأم العجوز . وغامت الدنيا في عينيها . ثم نظرت الى « دو » دون ان تتفوه بكلمة . راحت تفكر : ان الأمر سيء ، لم يذهب الى « نات » ليسترشد بنصائحه كما قلت له ، وإنما ذهب الى موقع « بالو » .

ومضت تسعة أيام عندما وصلتها كلمة من أبنها ، وأخذتها الى « دو » ليقرأها لها ، وسمعته يقول :

« أمي العزيزة . .

«أعرف الآن كيف أصيب الطائرة،وهي محلقة في الفضاء، وأجيب على أسئلة الثوار عندما يستفسرون عن هذا الأمر . واليوم أتوجه الى قرية « توا » لأمر عاجل ».

وأطلقت زفرة ارتياح من أعماقها .

وسألت دو : ماذا سيفعل هناك ؟

ـ لا أعلم يا أمي .

* * *

كان السكان يعقـدون مؤتمراً في قرية « توا » ، فقد فشلوا في اسقاط طائرة للعدو كما فعلت القرى المجاورة « بافو » ، دادو ، شونج ، وأحس الثوار بشعور الذنب ولكن قائدهم « دون » كان في انتظار الفرصة التي تحقق أمله .

وتوقفت الضحكات فجأة وصاحت الفتيات : « دون » . . الطائرات قادمة !!

ولم تكن الصيحة صيحة تحذير وإنمـا صيحة عمل . وتخفى « دون » وانطلق نحو الحقول وهو يدعو رجـــاله الى اللحاق به ، ولكن لم يتحرك واحد منهم فتوقف وصاح : بيوك ! انت على الأقل يجب أن ترافقني !!

وكان « بيوك » معروفاً باجادته في اصابة الطيور المحلقة . وفي العام الماضي استطاع أن يقتل غزالا بطلقة واحدة . حقاً . . لم يعد صغيراً وانما ما زال محتفظاً بقوة بصره . ويستطيع أن يجد طريقه وسط الظلام الحالك .

وقفز « دون » ليحتل موقعاً بينما احتل « بيوك » موقعاً في الجانب الآخر . كانت السماء صافية ، ولاعجب أن يأتي «اليانكي» ، وانقضت الطائرة كعادتها فوق القرية ، ثم حلقت فوق فروع الاشجار وكلها ثقة بنفسها ومرت فوق رأس «دون» . ترى هل رأت شيئاً؟ . . فقد اتجهت نحو النهر تبحث عن « الكباري » ، وتطلق النار عبر الوديان ثم تحلق عاليا .

ووقف «دون» في موقعه على أهبة الاستعداد ، مصوبا سلاحه نحو الطائرة ، وتم كل شيء حسب ماتوقعه ، واستعد للضرب ، ولكن الطائرة ولت هاربة . وصاح بيوك : لقد رحلت ، يا لسوء الحظ يا « دون » !

واستعد «دون» لمغادرة موقعه عندما عادت الطائرة ثانية . . انها قادمة ! . إنه لم يحقق في حياته شيئا يذكر ، ولكنه يجب عليه ان يقابل تحدي قرية « مك » . وهناك الفتيات الصغيرات في انتظاره حاملات باقات الزهور ، آملات في النصر الذي سيحققه باسقاط طائرة العدو . يجب الا يخيب املهن المعقود عليه !!

وحلق جيداً في الطائرة ، وسمع صوت « بيوك » يلومه : انت فشلت ! لقد أطلقت الرصاصة في الهواء !!

ووضع دون بندقيته وبدأ يفكر . لقد اخفق في اصابتها . لماذا ؟ ان اصبعه لم يرتجف ، وبصره حاد كالصقر . ولم يهتز فرع الشجرة الواقف عليه . حقا . ان السبب الوحيد هو انه لم يجد التصويب . لقد نجح « نات » في اقتناص طائرة ، ونجح « بين » في اسقاط « هليكوبتر » ، اما هو فالأمر مختلف تماماً . عليه أن يقتنص طائرة مقاتلة ، ولذا فعليه أن يحدد هدفه قبل أن تمرق منه الطائرة . وكيف اذن لم يفكر في تحديد المسافة الزمنية من قبل ؟

اعد بندقيته مرة ثانية ، ولفتّت الطائرة كالكلب المسعور الذي يريد ان يقتص من غريمه ، وأحس « دون » بهدوء غريب يكتنفه . وكان واقفاً على أرض مألوفة لديه ، وكانت أشجار « الكاسافا » تلطمه برفق ، واهالي القرية ينتظرون الانتصار الباهر . وتمتم قائلاً : علي أن احدد هدفي بمسافة باردة من مقدم الطائرة .

« بانج »! كان صوت الرصاصة مازال يرن عندما سمع القرويين يهللون ، وقرع الطبول يدوي

ـ لقد فاز « دون » ! والتهمت النار القرصان !

وانطلق « بيوك » ليحتضنه ويقول : هل انت سعيد يا « دون » ؟ ، ولم يتكلم « دون » . وبعد لحظة سلم سلاحه الى

« بيوك » وقال له : خذ السلاح ، وامكث هنا ، سأعود الى القرية

ـ لماذا أمكث هنا ؟

ـ قد يعود يانكي آخر .

ـ وماذا سأفعل ؟

ـ انه سؤال يدل على الغباء ! اقتنصه طبعاً !

واستقبل القرويون « دون » بحماس بالغ ، ودعاه حاكمها للاحتفال به ، وليشرب من كأس « الظافرين » . وبعد ذلك تحول الى الفتيات الصغيرات وقال لهن : احضرن باقات الزهور وزين بها صدره . ثم خاطب « دون » قائلا :

ـ تذكر يابني ان هذه الزهور هي صورة من حياتنا. فاللون الأحمر يحمل لون دمائنا التي نرغب في اراقتها لنتخلص من هؤلاء « اليانكي »، اما الزهور الزرقاء فهي تمثل لون جبالنا وقرانا ، وفي سبيلها سندافع حتى النهاية ، اما الزهور الصفراء فتمثل لون النجم الذهبي الذي يزين علمنا ، ويهدينـــا السبيل . تذكر كل هذا يابني «دون» !

وتطلع الرجل العجوز الى « دون » في صمت : عيون صارمة ، وخطوات فخورة بعملها ، والشعر مازال يكسوه تراب المعركة .

ثم التفت الى الشاب وقال :

ـ احضروا لي الشريط الأحمر ..

وأبدى بعضهم ملاحظة قائلين :ولكن سلاحه غير موجود! أين هو يا « دون » ؟

واستدار « دون » وأجاب : لقد تركته مع « بيوك »

وقال الحاكم : احتفظ بالشريط قليلا، ورفع ذراعه وأعطى اشارة ، وبدأت الطبول تقرع ، واختلط الجميع في حلبة الرقص ، فرحين .

وفجأة سمع الجميع ازيز طائرة . وتوقفت الضوضاء في الحال، وانصتوا باهتمام، وتطلع الحاكم نحو الحقول ، حيث يقف « بيوك » حاملا سلاح « دون » ، لابد انها معركة حياة أو موت تلك التي سيخوضها بيوك مع القرصان الامريكي .

هل يصل سمعك يابني « بيوك » قرع الطبول التي تدوي في قريتك ؟ ومد الحاكم ذراعيه وأشار باستمرار قرع الطبول ، وعاد صوتها يرن .

« بانج » ! هل أطلق بيوك النار ؟ نعم ! بلاشك انها طلقة البندقية ، وتواصلت قرعات الطبول ، ولكن الحاكم وقف وسط الحلبة ، مشيراً بيديه ، وبدأ جسمه يهتز كأنه سقط في غيبوبـــة طويلة : استمروا في قرع الطبول .

« بانج » ! طلقة أخرى دوت ، وصوت قرع الطبول يدوي كهدير المياه المتساقط أو دوامات الاعاصير ، واشتعلت النيران في طائرة العدو في سماء قرية « ثوا » وهوت اشلاء على الارض .

وصاح « بيوك » صيحة الانتصار، وشاركته الآن جميع الأصوات . فقد سمعه الاهـــالي في وضوح . لكن « بيوك » لم يتوقف عن صيحة الانتصار ، التي تردد صداها عبر الجبال .

واستقبلته الجماهير بالهتاف وهو يعدو نحو القرية ، حاملا السلاح عالياً ، وتقدم نحوه الحاكم وعلق على صدره الزهور ، وردد على مسامعه نفس الكلمات التي قالها لرفيقه « دون » ، وبعـد ذلك طلب الشرائط الحمراء ، وربط بها البندقية وقال : اعتن بسلاحك يابني ، واحرص على أن يبقى لون الشريط زاهيا ، ولاتـدع اسم قرية « ثوا » يتلوث .

وصاح الحاكم فجأة قائلا : سكوت !

وخيم الصمت ، وساد جو من الوقار على الجميع تمـاما كما يحدث عندمـــا يحلف المتطوعون يمين الولاء . وعندما أرخى الليل سدوله ، كانت المنازل مازالت خالية من سكانها ، فالجميـــع يعملون في الحقول وعبر الانهار، ويحفرون الاستحكامات الجديدة .. كان الجميع : الحاكم و « دون » و « بيوك » و « بين » في انتظار هؤلاء الوحوش .. لأن احداً لم يعد يخشاهم .

نجوين داك توان

المنتصر

« نجوين داك توان » احد الثوار الذين اعتقلوا في سايجون سنة ١٩٥٧، وقد قامت قوات ديم الامريكية بتعذيبه عدة سنوات لكي يعلن استنكار انتمائه للحزب ... وكانت رحلة نضال طويلة ومريرة خرج منها في النهاية منتصراً . وقد أطلق سراحه بعد سقوط ديم ، فسرد قصته التي نقتطف منها هذا الجزء ، اما القصة كاملة فستقوم بنشرها دار النشر باللغات الأجنبية .

— دراسات فيتنامية —

قامت عصابة « مراجعة التثقيف »[1] بتقسيم العمل فيما بينها ، وتكفل كل فرد منهم بالقيام بكل أساليب الضغوط المختلفة

---

(١) في الترجمة الانكليزية « معيدي التثقيف » أي أولئك الذين يقومون بعملية « غسل المخ » .

علينا . وكانوا يرددون على مسامعنا مرة بعد مرة أن سبعة من رفاقنا قد ماتوا في ٢٧ مارس ، وسردوا تفاصيل عديدة عن موت « متين » ووصفوه بأنه كان موتاً رهيباً و « يدعو للشفقة » و « جنازة اليمة » و « وازهاقا لآدميته » ، وكان من الواضح انهم يحاولون تحطيم معنوياتنا .

وفجأة اخذوا يلوحون لنا بالتهديد : « ايها السادة ! امامكم فرصة صغيرة للحياة . شمعة في مهب الريح ، والحبل معلق فوق الرؤوس . اننا نرى الموت يعيش بجواركم ويشحذ منجله ! »

أو كانوا يقولون بكبرياء : « عندما تنطلقون خارج هـذا المكان ، ستستعيدون قوتكم وتفعلون كل ماتشاءون . حتى المقاتلون في حاجة الى الراحة ... أليس كذلك ؟ والآن استمعوا الينا . انطلقوا خارج المكان واستمتعوا ببعض الراحة ! »

وفي اليوم السابع عشر من الشهر السابع القمري ، أرسل الينا القائد علبة من لفائف التبغ وعلبة من اللبن المحفوظ . وقالوا لنا : « لقد أرسل اليكم القائد بعض الهدايا ، في يوم الاحتفال بـ « يوم الغفران للموتى » . ان السلطات تفكر فيكم ولكنكم لا تردون الجميل بالجميل » .

وكان التفكير يتردد في انفسنا : قولوا ماتشاءون ، ولكننا لا نكترث ! انكم لا تقدمون شيئاً جديداً . انها نفس القصة ، فلا تتوقعوا منا شيئا .

وفي الثالث من شهر سبتمبر ، استدعانا « دانج تو » ، وكان برفقته رئيس الشرطة وقادنا نحن السبعة الى الشرطـــة ، وأوجز حديثه الينا : أيها السادة .. انني أراكم لأول مرة . واليوم أراكم لآخر مرة .

وبغير أن يضيف جديداً ، تركنا ومضى ، والحق انه لم يرنا الا مرة واحدة ، وبعد هذا اللقاء الأول ، كان الماء المثلج يبلل شفاهنا ، ووجبة تحتوي على السمك الجاف المخلوط بالارز ، ثم جاء اليوم ٢٧ ، يوم الضرب المبرح الذي أفضى الى موت سبعـــة منا .. والآن ؟

وبعد ثلاثة أيام ظهر أمامنا رجال البوليس وعصابة «مراجعة التثقيف » وقالوا لنا : « هل امعنتم التفكير فيما قاله لكم قائدنا ؟ سيظهر اثر هذه الكلمات في الحال ! »

في ذلك اليوم استنكر « كيوبن فان رخوي » انــتماءه للحزب ، وكان دائماً ملقى في أحد أركان السجن ، يعاني من آلام « الدوسنطاريا » ولكنه بعد أن أعلن الاستنكار أسرع الأعداء باستدعاء الطبيب للعلاج السريع . وأقبـــل الممرضون على عجل وحملوا « كيوي » في عربة الاسعاف . وهذه الاجراءات السريعة دفعتنا الى أن نعيد التفكير مرة ثانية .

ولكنه احقاقاً للحق ، يجب أن نعترف بأن « كيوي » بعد انتقاله الى « عنبر » ٢ لم يحاول ان يحيى علم العدو عند خروجه من السجن ، أو يردد الشعارات الحكومية . وبعد ذلك ، علمنا من رجل نقل الى عنبر ٢ بأن كيوي « انتقد نفسه لاعلانه«الاستنكار» فقال : لقد ظننت أن جميع السبعة سيموتون في « **كهف النمر** »[1] اذا أنا لم أفعل شيئاً ، وانه من الأفضل لي أن أنقل الى عنبر٢ حيث أستطيع أن أحصل على معلومات مفصلة عن هذا المكان ، وانقلها الى الرفاق،وكان ظني ان هذاهو السبيل الوحيد الذي استطيع بوجبه أن انقذ بعضاً من هؤلاء المعتقلين في سجن النمر .

وهكذا حل ستة منا في السجن . وانتزع الأعداء جميع ملابسنا كما اعتادوا أن يفعلوا بنا عندما يبدأون في التنكيل بنا ، ولا يقدمون شيئاً سوى الأرز غير المملح والماء الممزوج بالطين .

وفي ٨ سبتمبر جاءوا مرة ثانية ليقولوا لنا : ثلاثة منكم « استنكروا » . انهم السادة « مين » و « مرت » و « شاك » . ولم يبق سواك يا مستر « بين » ، و « هيو » ، فانتما مصران على عدم اعلان « الاستنكار » . هل ترغبان في البقاء هنا ، بينما أغلبكم قد رحل ؟

---

(١) سجن تحت الأرض ، يعتقل فيه الثوار الذين لايفضون باسماء زملائهم « المترجم » .

وكان الضحك يدوي في أعماق صدري، لأن العدو يحاول أن يفرق بيننا . فقد اقترح رئيس الشرطة هذه الخدعة على « هاي جاك » المسؤول عن قسم الأمن في سجن النمر :

– خذ ثلاثة منهم ، وأخبر الآخرين بان زملاءهم أعلنوا « الاستنكار » وقد يصدقون هذا الزعم فيستنكرون بدورهم .

وقد نقل زملاؤنا الثلاثة « مين » و « موت » و « شاك » الى سجن آخر قبل أن يأتي العدو ليتحدث الينا كلا على حدة .

وفي مطلع شهر اكتوبر ، عين « هوان » مكان « قام ساو » رئيساً لجماعة « المنكلين » فاستدعانا ذات يوم الى الشرطة ، ووقع بصرنا على بعض الرفاق الذين لم يسبق لنا رؤيتهم . وقال « هوان » : لقد رفضتم اعلان « الاستنكار » ، وقد رفعنا ذلك الى السلطات الموجودة في **الوطن**[1] وعليه فقد قررت الحكومة المركزية أن ترسل وفداً من الكوادر للتحدث معكم .. وهنا .. أمامكم ، يوجد مستر « ثو » قائد أعلى من قبل مكتب التثقيف المركزي ، وأيضاً مستر « ثيو » قائد مكتب الحرب النفسية ورئيس هذا الوفد .

وعليه .. فان سلطاتهم المركزية قد أُجبرت على اصدار أمر مباشر لدراسة المعاملة السيئة التي نتلقاها نحن الستة .

---

(١) حدثت هذه الوقائع في جزيرة الاعتقال « بيولو–كوندور » .

وكان « ثو » قصير القامة ، مكتنز البنيان ، أما ثيو فكان طويلا ونحيلا وبصحبتهم أربعة رفاق كانت مهمتهم دراسة الأعمال التي قامت بها جماعة « المشكلين » في الجزيرة ، وانتقدتهم نقداً مراً ، لأن أعمالهم لم تعد تهديد « الشيوعيين وابادة الشيوعيـــة » واطراء الدولة ، ولم يأت كل هذا الا بالفشل الذريع .

وتباحثوا فيما بينهم ، واستقر الرأي على أن السبيل الوحيد لمعاملة مثل هؤلاء المعتقلين هو تحطيم صورة البطولة التي تحيا في خيالهم ، وولاءهم لمثالية الثورة . ولا سبيل الى دحرهم بسوى هذا الأسلوب .

وكنا نشعر بالاحتقار نحوهم ، ولذا كانوا يعتقدون بأن اسلوب المناقشات سيلين من عنادنا ، وسنلجأ الى الصمت ومن ثم « سنحطم ولاءنا للثورة » .

وتكونت جماعتان ، كل جماعة مكونة من ثلاثة اشخاص ، مهمتها مناقشة ثلاثة منا . وكنت ضمن المجموعة التي سيناقشها فريق « ثو » . وكان « ثو » كاثوليكي غيور ، يتسم بأخلاق أهل الكهنوت فيتحدث كالواعظ ، احياناً جذلاً واحياناً صارماً ، ولكنه كان فصيحاً دائماً .

واستدعينا ذات صباح للقاء في الشرطة ، وقال واحد منهم : « ايها السادة .. اذا رفضتم اعلان « الاستنكار » فلا شك ان هـذا نوع من الولاء . واننا نعلم ذلك تماماً ، ونقدر مشاعركم ، ومسألة

الاستنكار مسألة بيروقراطية استنها مستر « يون » ، ولكن حيث اننا بدأنا بها ، فلا بد ان نستمر في الأخذ بها ، ولكي نقوم بالغائها، يحتاج الأمر الى اصدار تصريح من الحكومة المركزية، ويستغرق ذلك وقتاً طويلا ، ويتسبب في متاعب جمة ، وفي النهاية لا نجد معنى لذلك . إننـــا لا نحبس سوى أجسادكم ، ولكننا لا نملك حبس افكاركم . وهل تظنون ان « الاستنكار » يعني فقد روح النضال ؟ لا .. لا أظن ذلك . بل على العكس ، ان اعلان « الاستنكار » سيفيد المخطط الثوري . لماذا ؟ لأنكم ستعيشون وتواصلون النضال . يمكنكم توقيع عريضة الاستنكار لأن هذا التوقيع امر شكلي ، حيث ان العقيدة ثابتة في أعماقكم ، فانها لن تعني شيئاً لديكم ، ومن يستطيع لومكم ؟ هل تتركون أموراً شكلية تفضي بكم الى الموت فتضعون نهاية لنضالكم ؟ لا ... لا أظن ان الفطنة تعوزكم . فأنتم واقعيون . هل تنكرون بأن الايمان بالمبادىء يدفع الانسان الى أن يكيف نفسه حسب الظروف ؟.

واستمر يقول : ربما كان هدفكم هو أن تصبحوا ابطالاً ، ومصلحين لهذا العالم ، وصانعي امجاد كبيرة . ولكن أرجوكم أن تخبروني كيف تصلحون هذا العالم وتصبحون رجالاً مرموقين إذا دفعتم انفسكم الى ميتة غير ضرورية ؟

وأضاف آخر : انكم تفكرون ، مثـــل الشاعر الصيني

العظيم « كيوات نجوين » « كل شيء على هذه الأرض ملوث ، أما أنا وحدي فنقي » .

ومن هنا سقطتم في براثن البطولة الفردية . وهي ذاتها التي تعارضونها ، وكذلك افعالكم تتناقض مع مثاليتكم . »

وتتابع الوعاظ .. الواحد تلو الآخر ، كل يحاول أن يهز جذور الولاء التي تعيش في أعماقنا ، ولكن حججهم لم تفضل حجج سابقيهم ، وان شابهتها الاستعارات السفسطائية . واستغرق الحديث طوال هذا الصباح ، وقبل الرحيل وضع « ثو » يده فوق جبينه ، وصلى بصوت عال : يا الهي العظيم امنح الحكمة والمرونة هؤلاء الرجال .. يا الهي العظيم .. انقذهم !

وكدنا ننفجر ضاحكين .. ذلك الرفيق لم يستطع ان يفهمنا ، فكيف يستطيع أن يهزمنا ! وبعد الظهر اجتمع الكوادر الستة بمجموعتنا الاولى المكونة من « مين » و « كوت » و « ساك » وبعدها اجتمعوا بنا .

وأخذ المطر ينهمر بغزارة ، حتى ملأت انحاء الشرطة ، فقادونا الى ركن قصي حيث رددوا علينا نفس الكلام الذي سمعناه في الصباح ، وبعد لحظة سألني « ثو » : حسناً .. مارأيك ؟

وأجبته : ان الطقس رديء اليوم .. وسيسمح الوقت للقاء.

وعليه فاننا سنحاول أن نقـــدم الآن رأينا باختصار ، وسنناقش الموضوع باستفاضة عندما تسنح لنا الفرصة .

وشرحت لهم شعورنا نحو قضية النضال . وهز « ثو » رأسه وقال: أنت توجز في الحديث ولكنه حديث له معان ذات دلالات كبيرة . ولكني اوجه لك هـذا السؤال : هل مازلت تحب حزبك ؟.

وأجبته : ما دام هو حزبي فلماذا لا احبه ؟

ـ واذا أحببت حزبك . . أفلا تضع مبادئك موضع التنفيذ؟ أليس هذا واجبك ؟

ـ طبعاً .

ـ والآن أسألك . من مبادىء الحزب أن تحترم الأقلية الأغلبية ، فلماذا ترفض التوقيع على عريضة الاستنكار ، كما فعل بقية زملائك . الواضح انك لم تعد تحترم مبادىء الحزب .

وأجبته : حيث انك لا تعرف شيئاً عن مبادىء الحزب ، فانه من الصعب علي أن أجعلك تفهم هذه الأمور ، الآن أريد أن اخبرك بأن جميع الثوريين ، أحراراً كانوا أم أسرى ، وسواء انكروا أو لم ينكروا ، فانهم يسعون وراء هـذا الهدف : انهم يناضلون في سبيل وحدة هذا الوطن .

وقال « ثو » ، وقد أغمض عينيه نصف أغماضة : حسناً .. حيث انك ما زلت متمسكاً بآرائك ، فلم يعد أمامنا شيء نفعله ! وداعاً .. ثم .. !

وعندما استعدوا للرحيل أضفت قائلاً: حيث انكم تنتمون الى هذا الجهاز الحكومي ، فانني أسألكم ان تنقلوا عن لساننا هذا الرجاء : ان حكومتكم تعيث في الأرض تدميراً ، وقتلا ،وتعذيباً للشعب منذ سنوات. وقد رأيتم هذه الأساليب. وقد مات الآلاف منا هنا . ولن نتكلم عن الآلاف الأخرى المريضة والمعذبة ، والتي تقاسي شتى أنواع الآلام . وان كنا نظن ان قتلنـــا أو رمينا بالرصاص هو أقل الاساليب وحشية ، فلذلك نطلب منكم ان تنقلوا عنا هذا الرجاء : اقتلونا بالرصاص كلما أحسستم بهذه الرغبة ، ولكننا نطالب بالمعاملة الكريمة .. ما دمنا أحياء !.

وتعاقدت يدا « ثيو » ، ولكنه كبح جماح نفسه ، وبدلاً من أن يضعها فوق جبينه كما فعل في الصباح ، ألقى بها وراء ظهره ، وقال : حسناً ... حسناً ، سننقل رجاءك الى الحكومة المركزية .

وبعدها ارتحلت العصابة . وقد اندحرت تماماً ، وعادوا في اليوم التالي الى الوطن ، وقد كفوا عن محاولتهم لتدمير ولائنا .

* * *

تستعمل القوة أحياناً عندما تفشل المناقشات ، وهذا دائماً أسلوب الأعداء . وكنا ندركه تمامـــاً ، ولم نفاجأ عندما اتبعوا أسلوب تعذيبنا بالمياه . وهذه المرة كانوا يقومون بتعذيبنا ثلاث مرات كل ليلة . الأولى في الساعة التاسعة والثانية في الواحـدة والثالثة في الرابعة .

وعليه فقد كف العدو عن محاولته لكسب نصر سريـع ، وبعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم في يوم ٢٧ ، كان من الواضح انهم يخططون لحرب تقضي علينا .

وفي كل هجوم ، كانوا يتعمدون قتل بعض منا، لكي يبثوا الخوف في نفوس الأحياء . وفي هذه المرة قالوا لنا أن نترك ثيابنا للغسيل ، وكانوا يبذلون جهدهم لكي يزيدوا من آلامنا .

– أرقدوا ... أنت أرقد هناك ... على ظهوركم تماماً .. للغسيل !.

وأحياناً كان يصيحون : اجلس في مكانك ثابتاً . ووجهك الى فوق ، نحو السقف !

وأحياناً : قفوا ! والاذرع ملاصقة الوسط .!.

ولم يجف سجن النمر من المياه التي كانت تصل الى منتصف الحائط ، أما الطلاء فكان دائماً يتساقط ، وكانت الأرضية مبنية من

الاسمنت تنز بالرطوبة فتتمزق أقدامنا كلما مررنا فوقها ، ونقاسي من الالتهاب الذي يحطم الأصابع .

وعندما تجف المياه كنا نسرع بدعك أجسامنا بأيدينا لكي نبعث الدفء في أوصالنا كالمحكوم عليهم بالاعدام ، لأن انتظار وصول الماء كانتظار المحكوم عليه بالاعدام ساعة رحيله الى خشبة المقصلة . ولم يقف الأمر عند هذا ، بل كانت المياه تتساقط على رؤوسنا فتودي بعقولنا . ان الانتظار يبعث على الألم والتوتر .

وفي أعماق الليل الحالك ، كانت الريح تعوي ، والبراميل تفرغ ما في جوفها من مياه ، وخطوات المنكلين بنا تذهب جيئة ورواحاً ، تبحث على مزيد من المياه لتعذيبنا .

وكلما دوت هـذه الأصوات في آذاننا ، ازددنا هلعاً . كان المنكلون بنا يقفون فوق رؤوسنا يدثرون أجسامهم واعناقهم بدثار يمنحهم الدفء . وينظرون الينا ونحن قابعون ، نرتجف في ركن من أركان السجن .

ـ الاول !

ـ حسناً « مين » هو الأول اليوم !

ـ « مين » الجو بارد اليوم .. أليس كذلك ؟

ويفرغ البرميل من الماء فوق رأسه، فيصرخ الرجل المبتل..

وعندما ينقطع التيار الكهربائي كانوا يصوبون أنوار كشافاتهم اليدوية لكي يتأكدوا من وجودنا في أماكننا المحددة لنا .

وخلال هذه الفترة ، انضم الينا معتقلون جدد ، يتكونون من سبعين معتقلاً ، جاؤوا الينا من عنبر ٢ ، وأصبح «سجن النمر» مزدحماً ، لا يقطعه الا صوت الماء ، المصوب علينا ، أو صرخات الضحايا .

وقد نقل السبعون سجيناً من « عنبر ٢ » لسببين ، إذ رفض ٦٥ منهم التوقيع على عريضة الشكر المرفوعة الى الحكومة ، وخمسة حاولوا الهروب من الجزيرة .

وفي ٢٦ أكتوبر ١٩٦١ ، قرر العدو نقل عدد من المرتهنين في « عنبر ٢ » من الجزيرة الى أرض الوطن .

وعندما وقفوا على كوبرى الميناء ، استعداداً للرحيل ، طلب منهم التوقيع على « عريضة شكر » تعبيراً عن امتنانهم للرئيس « نجو » . وانهم يعدون بان يكونوا « مواطنين أوفياء » . ورفض ٦٥ منهم ، وقال واحد منهم : لقد اشتركت في حرب المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ، ومنذ عودة السلام ، قامت حكومة « نجو دين ديم » بالقبض علي واعتقالي . والآن تطلبون مني التوقيع على هذه العريضة للتعبير عن ثقتي بهذه الحكومة ، ولكني أقول بصراحة بانني لا أثق في هذه الحكومة ، فقد قاسيت جداً من المعاملة

المتوحشة . انني لن أوقع ، حتى لو اقتضى الأمر أن امكث في السجن بقية عمري .

وقال آخر : لن أوقع قبل أن أرى أسرتي ، لأنني لا أثق في هذه الحكومة ، فقد وعدت الذين « انكروا ولاءهم للحزب » بالتمتع بحريتهم ، فأرسلوهم الى « بيولو كوندور » . وكذلك وعدت الذين نقلتهم من «عنبر ١» الى «عنبر ٢» بالحرية ، ولكنهم احتجزوا في المعتقل وساموهم العذاب . هل تنكرون انكم أعدمتم هؤلاء الذين وقعوا عريضة الاستنكار الى السجن ، وبعد فترة قصيرة من الزمن اطلق سراحهم ؟ انني لا أثق بهذه الحكومة ، ولذلك فانني لن أوقع .

وقال آخرون ببساطة : « جميع الشعب يناضل في سبيل وحدة الوطن . فاذا تعهدت بالابتعاد عن هذا النضال ، فكيف أعيش بعد أن أعود الى الوطن ؟ . »

لقد وقع « ب » على العريضة وأعيد الى الوطن منذ مدة طويلة ، ولكن امرته ما زالت تكبت انفاسها تسأل عن مصيره ، أين مكانه الآن ؟ » .

واقتيد هؤلاء الثائرون في الحال الى سجن النهر حيث انهالوا عليهم بالضرب ، وفي اليوم التالي اعيدوا الى كوبري الميناء وقيل لهم : حيوا العلم ، واعتلوا السفينة لتعودوا الى الوطن .

ورفض الثوار تحية العلم ، ولذلك اعيدوا مرة ثانية الى سجن النهر . وانهالوا عليهم بالضرب وساموهم العذاب . وكان « شيونج » من بين هؤلاء الثوار الجدد الذين اختيروا للرحيل ، وأعيد ثلاث مرات ، ولكنه قاسى أمر المعاملة .

أما الثوار الخمسة الذين فشلوا في الهروب من الجزيرة فقد ذاقوا عذاب الضرب ، ويعزى فشلهم الى ان الريح لم تسعف قاربهم على الاقلاع . وقبل الفجر اقتفى اثرهم زورق بخاري للعدو ، وألقي القبض عليهم واقتيدوا الى سجن النهر ، حيث كان العذاب في انتظارهم . وحاول العدو ان يكتشف تفاصيل مؤامرة الهروب ، ولكن الثوار لزموا الصمت .

كان المعتقلون في سجن النمر مقسمين الى فئتين : الفئة الأولى تتكون من المعتقلين الذين سمحت لهم السلطات بالعودة الى الوطن ، ولكنهم يرفضون التوقيع على خطاب الشكر ، والفئة الثانية من المعتقلين الذين يرغب العدو في الابقاء عليهم في الجزيرة حتى يلفظوا النفس الأخير .

وكان العدو قد رسم خطة سرية ليجعل جزيرة « بيلو - كوندور » قاعدة لايواء جنود الميدان، وجاء خبراء الولايات المتحدة للمسح الطبوغرافي للجزيرة . وفي بادىء الامر أعد المكان لتدريب جنود المظلات ، ثم اقتادوا مساجين « عنبر ٢ » الى تمهيد الممر الجوي

في منطقة « كوونج » وتطلب تنفيذ هذا المشروع ازالة مقبرة « هانج ديونج » ولكن العدو احتفظ بالأمر سراً ، وهو يؤكد بانه يبغي بناء ضريح لذكرى البطل الثوري « نجوين آن نين » . وبهـذا استطاعوا ان يصيدوا عصفورين بحجر واحد . الأمر الأول هو التظاهر بانهم يحترمون الثوار الوطنيين ، والأمر الثاني انهم يريدون ازالة جميع الآثار التي تمت الى الشيوعيين بصلة ، أي أنهم يريدون ازالة مقابر الجنود الشيوعيين . ان العدو يبحث عن تدمير ما تبقى من ايمان يجيش في أعماق هؤلاء الذين أعلنوا « الاستنكار » ، حتى يقضوا على قوتهم . ولن يتوانوا عن الاعلان بأن « الشيوعيين » هم الذين دنسوا قبور رفاقهم » .

ولكن الرفاق الذين يعيشون في « عنبر ٢ » ، كانوا مدركين تمام الادراك خطة العدو ، ولذلك قرروا رفض حفر القبور . وصمموا على المقاومة المستميتة قائلين : رفاقنا ثوريون أيضاً ، فقد ضحوا بأنفسهم ، فلماذا نحفر قبورهم بينما قبور الآخرين مزخرفة ، سوف لانفعل ذلك ! »

وعليه فقد أمر العدو ثلاثة من المعتقلين بحفر قبر قريب من قبر « نجوين آن نين » والقى فيه بالعظام المكسوة ببقايا من اللحم . ولم يقو الرفاق على كتم تباطئهم ، فاضطر العدو الى دفعهم الى القبر المحفور واجبارهم على العمل .

وكلما حاولوا تسلق القبر ، انهال عليهم الجنود بالضرب ، ودفعهم الى الاستمرار في العمل ، وغلفهم رذاذ الطين والدم ،وحتى بقايا لحم الموتى .

وكلما انهالت اللطمات فوق رؤوسهم ، استلقى بعضهم بجوار بقايا الموتى وهم يتعهدون : اننا نعدكم ان نحذو حذوكم .. أيها الرفاق ..

وعليه استدعى « ثام » و « تو » و « تي » قوات من الجنود وهم يشهرون مسـدافعهم الرشاشة ، وحاصروا الرفاق ، وكدس الجنود تحت قيادة « تي » عصياً سميكة . وقاد رجال الشرطة وبعض السجناء الذين أصبحوا تابعين للشرطة ، المعتقلين نحو أحد أركان الفناء ، وانهالوا عليهم ضرباً بوحشية قاسية ، وكلما تحطمت أحدى العصي ، استبدلوا بها عصا أخرى سليمة ، واستمر الضرب حتى بعد الظهر ، حتى أتوا على جميع العصي . وتناثرت بقاياها في انحاء الفناء ، واختلطت الرمال بقطرات من الدم ، ومع كل هذا فقد رفض الرفاق استعمال « الجاروف » أو « البلطة » حتى لا يدنسوا قبور شهدائهم .

واندحر العدو ، وأحس بالفشل ، فكف عن محاولة ازالة بقايا الشيوعيين ، وتسوية جبانة « هانج ديونج » . وتنهدوا قائلين : ان مواجهة هذه الرهائن السياسية أمر جد صعب !

وعندما بلغنا صمود الرفاق الذين يقيمون في « عنبر ٢ » ، ملأت نفوسنا البهجة والسرور ، وازددنا اعجابا بهم ، وخفت آلام اللطمات او تعذيب المياه التي كنا نشعر بها .

واستمر العدو في ضربنا ، وصب الماء المثلج فوق رؤسنا ، حتى في الأيام الشديدة البرودة ما بين اكتوبر وديسمبر ، وحتى في يناير ، وذوى عودنا ، وشحبت وجوهنا .

وقد استعمل هذا الاسلوب ، اسلوب الضرب والجوع ، واحد من ابناء فيتنام الشمالية القادمين الى الجنوب ويدعى « هاي جاك » ، وقد اعتقلته الحكومة ذات مرة ، وبعد ثلاثة أيام قدم له أحد رجاله تقريره قائلاً : اننا سنتخلص منهم قريباً ايها الرئيس !

وعليه ، فقد أسرع « هاي جاك » الى رؤيتنا عن قرب ، ثم أمر بصرف طعام لنا . ومع ذلك كان يحرمنا من الطعام أيام الآحاد . وبين الحين والآخر كان « تو هواش » يرغب في أن يقودنا الى الشرطة ثم ينهال الجنود بالضرب علينا . وكان يجلس الواحد منا وظهره الى أحد الاعمدة ، ويداه مقيدتان اليه ، بينما تكون ساقاه مقيدتين الى العمود الآخر . وعندما تسكن حركاته تماماً يبدأ في ضربنا فينهال علينا ركلاً بقدميه ، فتتلقى صدورنا لطمات من طرف أو كعب حذائه الثقيل ، وفي نفس الوقت ، ينهال تابعوه او المرتهنون الذين اشتراهم العدو ، على مفاصلنا ضرباً بالعصي .

ولا يستمر الضرب حتى لا يفضي بنا الى الموت ، ولكن عندما يصاب الضحية بالاغماء يحملونه ويلقون به في القبو .

وكلما ازداد العدو قسوة علينا ، تماسكنا وازددنا راحة وشجاعة . وذات يوم واثناء فترة التعذيب بالمياه المقررة في الساعة التاسعة ، وكنا بدأنا في بعث الدفء في أوصالنا ، جاءنا الرفيق « اكس » وهمس في اذننا قائلا :

ـ انباء سارة ايها الرفاق .

وانتفضت واقفاً على قدمي وسألته : أي انباء ؟

ـ الرفاق المقيمون في عنبر المذنبين قد عرفوا حقيقة موقفنا !

ولم أدر كيف انتقلت الى جوار « اكس » وسألته : موقفنا تجاه ماذا ؟

ـ رفضنا التوقيع على « الاستنكار » أو حضور برامج استنكار عقيدتنا التي لا تتفق مع المبادىء الايديولوجية التي ينادي بها الحزب !

ـ ثم ماذا ؟

ـ لقد ازدادوا اعجابا بنضالكم ايها الرفاق ، رفاق «عنبر ١» واصراركم على النضال حتى النهاية .

وكانت هذه الكلمات القليلة ، تعني الكثير لدينا ! وكنا سعداء ، بل كانت الرغبة تحدونا الى أن نصرخ من شدة الفرح . اذن فان رفاق قسم المذنبين يؤيدون موقفنا !

وهكذا حددنا موقفنا ! الشجاعة ، العزيمة ، والاستعداد للتضحية بالنفس . والنضال ضد أي محاولة لاستنكار مبادئنا . ولكن الفكر كان دائماً يدفعنا الى انه يجب ان نناقش موقفنا مع اغلب الرفاق .

وجاءتنا الانباء الواحد تلو الآخر ، ان الجميع يعبرون عن تأييدهم لنا . فهل نطمع في مزيد من التشجيع بعد كل هذا ؟ ونزل الهدوء والسلام برداً على قلوبنا ، ولم نعد نشعر بالقلق حول صحة تصرفاتنا . وكنا نؤمن ونحن على طريق النضال بان الحزب والاعضاء هناك ساهرون على قيادتنا وتقديم المعونة لنا .

ولم انم طوال هذه الليلة ، ومكثت أقلب الفكر ، وقلت لنفسي : ان عجلة التاريخ دائماً تدور ، وانها تجذب الجميع في مجالها، واذا لم أشارك في زيادة سرعتها بيدي ، فلا أقل من ان أتعلق بها حتى أكون قريباً منها ، ولا شك انه من الخطورة أن تفلت منها احدى يدي ، ولا يعدو انكار ايماني ان افقد احدى يدي ، وأسقط خلفها . ان اختيار سبيل الخيانة معناه ان أضع نفسي امام العجلة لتسحقني .

وهززت كتفي ، وأحاطت بي صور من الحرمان ، والعزلة ، والخيانة ، وشعرت بالفزع يحتويني عندما فكرت في انكار عقيدتي أو التخلي عن عجلة التاريخ . مستحيل ! ابداً ... مطلقاً ، سأتعلق بعجلة التاريخ حتى النهاية .

واستمر العدو ينهال علينا ضربا في النهار ، وتعذيباً بالمياه الباردة ليلا . ويجب أن نعترف بأن هذه المعاملة القاسية الطويلة ، كانت تحمل في طياتها تأثيراً مريراً ... كانت الافكار المندحرة تطفو وعندما نسقط صرعى في شباكها ، كانت الآلام الجسدية تزداد حدة ، فلا نقوى على التفكير فيما يحمله الغد من ألم مروع ، أو خوف .

وفي هذه اللحظات ، كان عليّ أن أفكر في النضال بكل قواي من أجل الحزب والشعب ، حتى اتخلص من هذه الافكار المهزومة . وقلت لنفسي : يجب أن أكف عن التفكير في انني قمت ببطولات خيراً من الآخرين ، لأنني استطعت أن اتماسك حتى هذا اليوم . أو ان المستقبل لايستطيع ان يحمل لي شيئاً اخجل منه . ويجب أن نسد افواهنا بالرمال مثل الآخرين ، والا أفكر في اننا لم نحضر حفل تكريمنا لأن المنية قد وافتنا وأصبحنا في عداد الأموات ، وأصبح الحزب يعدد مآثرنا . ومثل هذه الافكار كانت تتردد في اعماقنا ، ولا تنسى الصعوبات التي تواجهنا في هذه اللحظة . ان تقدير الانسان ومستقبل الفرد مرتبط بالحزب والشعب ، ونحن كافراد واجب علينا أن نواصل النضال متمسكين بالقاعدة العريضة ، والمبادىء الايديولوجية التي نادى بها ماركس ولينين ، وهذا هو سبيلنا الوحيد الى تحقيق النصر .

هذا ماحدثت به نفسي . كان جسدي يعاني الكثير من الآلام ، وأقل حركة مني كانت تسبب لي ألماً مبرحاً . ولذلك كنا دائماً عرضة للاغراء ، وكان النهار هو العلاج الوحيـــد الذي يحمل في طياته السلام الى نفوسنا ، ومع ذلك كانت هناك الاحلام. فالعدو يحيط بنا ، ويهاجمنا ويقودنا الى ظلام الموت ، وفي غياهب هذه الغيوم ، كان المنفذ الصغير يبدو أمامنا كضوء قاتم يبعث في نفوسنا غريزة حب البقاء ، ولكننا كنا نعلم ان الفخاخ الرهيبـة دائماً في انتظارنا . يكفي ان نعلن « الاستنكار » فنجد انفسنا قد وقعنا في شراك هذه الفخاخ .. « انكر لكي تعيش ... وعش لتنكر ! »

وكنا احياناً لانقوى على اساليب التعذيب ، ولكن أرواحنا كانت تأمرنا بالتماسك ، والنضال ، والثورة ، فكل ساعة ، وكل دقيقة ، كنا نواجه رغبات متصارعة ، وتوتراً شديداً . وكان الفكر دائماً في صراع متواصل بين النضال والاستسلام . وكان الاستسلام يتراقص امام اعيننا . وكلما حاولنا طرده يعود فيتراقص مرة أخرى . وعندما نستيقظ نجد الآلام المبرحة تعاودنا ، وتحمل معها الافكار السوداء بالاستسلام .

وتأملت طويلا هذه الحقيقة الاساسية .. وهي انه من واجبنا ان نقهر ايديولوجية العدو نفسه حتى نستطيع أن نقضي على

طبقته بأكملها . وانه من السهل أن نقضي على العدو ، وبالتالي على طبقته بأكملها . وكانت اراء العدو تخفى في ثياب الشعارات التي تقول ، انك « ستنعم براحة القلب والعمل » اذا تنازلت عن ارائك . ولو حاولنا التفكير ملياً ، واقتفينا العدو في ادعاءاته لعد الكلام جذاباً وجميلا . وفي غياهب السجن ، دائماً كانت الأفكار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الانسان ، وحياة أسرته ، وما يقاسيه جسمه من الآلام . وكانت تظهر في نظرات طفله البريئة وصوت زوجته الناعم ، والمناقشات التي تقول : الثورة في حاجة الى جهودك في المستقبل ، فلماذا تموت هنا ؟ هل هذا هو المكان الصحيح أو الوقت المناسب لموتك ؟ الا يعني ذلك القضاءعلى نفس بشرية ؟ » .

وكان المرء يشعر بأن كل خلية من جسمه تطالبه بالحياة ، وفي النهار كانت النفس تتوق الى أنواع الطعام ، فلا نراها اطلاقاً بالليل . كان كل شيء ينقصنا ، وسأذكر شيئاً يبدو تافهاً ، ولا يفكر فيه أحد يعيش خارج هذا القبو . كانت تنقصنا أوراق التواليت ، وكنا لانجدها ولا نجد حتى أوراق الشجر ، ولا الاسمال البالية . ولن يعطينا العدو شيئاً منها ، وكان علينا أن نحل هذه المشكلة ، وان نصنع لأنفسنا « ورقاً » ، وذلك بضغط الارز المطبوخ الذي نحيله الى صحائف رفيعة نتركها لتجف . وكان حجم

هذه الصفحات لا يعدو حجم علبة الكبريت ، ولكنها كانت كافية لتحل مشكلة « الورق » .

قـــد تظن ان هذه المشكلة تافهة ، ومع ذلك فانك إذا فشلت في تحقيق هذه الحاجـة اليومية فان المتاعب ستتفاقم . ولا بد ان تعتاد الألم او الجوع سواء كنت نحيلا أو سميناً ، قوياً او ضعيفاً ، ويقع الاختلاف في قدرتك على العزيمـــة والتصميم على النضال ، وبدونها ستنكص على اعقابك في منتصف الطريق ... سواء كنت ضعيفاً او قوياً . .

وكان من واجبنا المداومة على تدعيم العزيمة والتصميم ، وإلا فان مصيرهمـا الى الزوال ، ثم يهوي الفرد الى غياهب الفردية ، ويهمل أهداف الثورة ، ولن يكترث برفاقه ، وسيحل الخوف محل كراهية العدو .

وعزمت على ألا أكف ثانية واحـدة عن حماسي وإيماني بعقيدتي وتفكيري الثوري . وأعمل على تدعيم موقف النضال ضد « الاستنكار » والاستسلام للعدو ، وأذكر نفسي انني يجب أن أحقق واجبي العظيم كعضو في الحزب ، وهو أن أكرس حياتي للثورة .

وفي كل مـكان أعتقلت فيه كنت انقش هذه العبارة : « يجب أن تكرس حياتك للثورة » !

وبعد انقضاء أربعة شهور ، ذقنا فيها ألواناً مختلفة من المعاملة الوحشية القاسية ، ظل العدو حقيراً كعهدنا به ، فأخذوا قدور الطعام وعصي الأرز . أما الأرز فكان يلقى على الأرض ، ونزحف لالتقاطه .. بل كان يلقى على عتبة الباب حيث كنا نتبرز ، في المكان الذي كان يوضع فيه « الجردل » . وكانوا في بادىء الأمر ينظفون المكان يومياً بالماء والرمل ، ولكنهم توقفوا عن تنظيفه منذ شهر ، وأصبحنا « نتبرز » و « نتبول » على عتبة الباب ، وفي وقت تناول وجبة الطعام ، كان الباب ينفرج ، ويلقون الأرز على الأرض ، ويرحلون ، وكنا نزحف ونحن صامتين ، ونلتقطه حبة ، حبة .

كنا نأكل الأرز . فلماذا نضرب عن تناول الطعام ؟ سنظل شوكة في ظهر العدو ما دمنا أحياء ، ولن نتركهم ينعمون بالهدوء . وما دمنا أحياء سنكون قدوة الرفاق الذين يقيمون في « عنبر ٢ » ، وسيواصلون النضال ضد العدو لأننا كنا في السجن نحمل راية القيادة التي اصطبغ لونها بدماء آلاف الرفاق الذين استشهدوا خلال سنوات من النضال المرير .

وحاولنا جهدنا ان نظل أحياء ، وكلما سنحت لنا فرصة الخروج الى الفضاء ، كنا نجمع الاعشاب التي تنمو في الارض ونتناولها . وكلما أصبنا شيئاً من الطعام ، كنا نشعر بالسعادة لأن هذا الطعام سيساعد على إطالة حياتنا فترة قصيرة أخرى ، وكنا لا نكترث كثيراً بنظافة الطعام مادام سيسد رمقنا .

ومع هذا فقد بدأت ابصق دماً ، كما حدث لباقي الرفاق الستة، وكان أخطرهم حالة زميلنا « هيو » . وفي ذلك الوقت وصل الرفاق الخمسة والستون من « عنبر ٢ » ، وكنت اقيم مع الرفيق « نين » في زنزانة واحدة ، أما « هيو » فكان يقيم وحده ، وكنا نسمعه يقول كلما بصق الدم : سأموت .. الدم يسيل من فمي !

وشعرنا بالأسى نحو « هيو » ، لاننا كنا نحبه ونبجله ، ونسترشد برأيه السديد كلما اجتمعنا في القبو لمناقشة خطط النضال .

وكان قلبي يتمزق ألماً كلما سمعته يتأوه ويقول: سأموت... الدم يتدفق من فمي . وكنا نتوقع الموت ، ولكنه انقض على « هيو » أولاً . ان قلبي يئن كلما فكرت فيه . كان يبلغ الخمسين من عمره ، ولكن عيناه كانتا تشعان بجمال أخاذ ، وتعكسان الصفاء والهدوء والمشاعر النبيلة والطيبة والاخلاص ، وكلما تطلعت اليهما كنت أحس بأنه فخور باشتراكه في النضال الذي كنا نخوضه في سجن النمر .

وازداد العدو خسة ولم يتحرك عندما رأى « هيو » ينفث الدم ، وبينما الرفيق يبصق دماً ، والارض يكسوها الدم، كان رجال الشرطة يقولون :

– نقلنا الأمر للرئيس ، فأمرنا أن نصب عليه مزيداً من المياه . وفكرت أنهم ينهجون نفس الاسلوب الذي اتبعوه مع « تين » منذ فترة قصيرة ، فعندما أضرب « تين » عن تناول الطعام حرموه من الماء حتى يموت سريعاً . والآن جاء دور « هيو » فهم يزيدون من صب الماء حتى لا يتركوا له فرصة لمزيد من الحياة .

واستمر العدو يصب عليه الماء البارد ، وهو ملقى على الأرض ، يعـاني من بصق الدم ، وقلت لـ « بين » : إذا استطاع « هيو » أن يمسح الدم ، فان العـــدو لن يسرع في الاجهاز عليه ، ولكنه لم يفكر في ذلك .

وكلما بصق الدم ، حاولنا تنظيف الأرض بعنـــاية ، حتى لا يعرف العدو عنا شيئاً . ولكن لسوء الحظ ، لم نستطع ان نتصل به ، ليفعل مثلنا .

وفي يوم ٢٩ ديسمبر سمعنا « هيو » يقول : أريد ان أرى رئيس الشرطة . فأجاب رجل البوليس « تام ترونج » : انه مشغول الآن ولا يستطيع رؤية أحد .

وصـاح « هيو » (وكان صوته دائماً يشوبه الهدوء حتى أثناء حديثه مع العدو) : اذا واصلتم صب الماء البارد سأحطم رأسي في الحائط ، وسأموت .

وصاح « تام ترونج » : لن أكون في حراستي هذه الليلة .

وفي ليلة عيد الميلاد صب المنكلون الماء على « هيو » وصاحوا به : اننا نقوم بواجبنا كالمعتاد .. يا « هيو » .

وصب الجنود عدداً من البراميل المملوءة بالمـــاء البارد على « هيو » فصاح :

– سأحطم رأسي .

وسمعنا صوتاً يرتطم بالحائط ، ثم جسماً يسقط على الأرض . لقد تحامل « هيو » على نفسه واستجمع قوته ، ووقف فوق سريره الخشبي ، وحاول أن يلطم رأسه بالحائط ، ولكنه فشل لضعفه وتهاوى على الأرض ، وصاح : اضربوني حتى أموت ، وصبوا مزيداً من الماء حتى تقتلوني ، لن أوقـع عريضة « الاستنكار » .. لن أغوص الى الأعماق ! » .

وكانت عبارته « لن أغوص الى الأعماق » تدل على امانته وإيمانه بعقيدته . وشعرنا بعاطفة جارفة نحو « هيو » . وصاح رجل البوليس « فان » الذي كان يراقب الموقف من الطـابق العلوي : ها .. ها .. كرر مافعلته اذا استطعت !

– لو كان لدي قوة كافية لما توانيت ، ولن أتردد !

وصاح « فان » غاضباً : حسناً .. صبوا عليه مزيداً من الماء أيها الرفاق .

وانهمر الماء على رأسه ، وأصابنا الفزع ، وأحسسنا بالشلل

يدب في أوصالنا عندما رأينا خمسين دلواً من الماء تنهمر فوقه . وقمنا بالعد .. واحـــد ، اثنان . وشعرنا بأحشائنا تتمزق من هول الموقف .

وعند الفجر ، إنسحب العدو ، وزحفنا الى الحاجز الذي يفصلنا عن « هيو » لنعرف ما اذا كان مـازال حياً . وسمعنا أنات ضعيفة تتردد . ورأينا الجنود منهكين من الجهـد الذي قاموا به ، فجلسوا بعيداً عنا ، فنادينا : « هيو » : كيف حالك ؟

وسمعناه يتحرك ، ولا شك انه أدار وجهه نحونا وقال : «أتمنى لكم صحة طيبة ، انني أول الراحلين !»

أول الراحلين ! ماذا يعني بكلامه ؟ وحملقت في رفيقي ، وشعرت بالخوف . ان كلمة « الرحيل »في جزيرة«بيولد- كوندور» تعني قبول « الاستنكار »، هل قبل « هيو »ان يوقع «الاستنكار»؟. رفضنا هذه الفكرة . هل يعني الرحيل الى جبانة « هانج نيونج » ، وهي العبارة الثانية التي تستعمل في مثل هذا المكان ؟

وقبعنا في القبو ، ونحن نتساءل عمـا يعنيه « هيو » بكلمة الرحيل ، اما هو فكان في هذا الوقت راقداً في بركةمن الماء المثلج.. هزيلا.. مجهداً! هيو .. كم انت أمين وبسيط !انك لن تقبل «الرحيل» لكي تعذبنا هذا العذاب الأليم .

وعند الفجر قال بعضنا لبعض : هيو لن يقبل التوقيع،فمثله

لايقدم على هذا العمل . « إذن فان « الرحيل » لن يعني شيئاً سوى « الموت » . سنقاسي كثيراً اذا أقدم على التوقيع ، ولكن عذابنا سيكون اكبر اذا مات . وكنا قابعين عندما مر «نام ترونج »وهو يقول : هيو ..! هيو ..! هيو ..! هيو ..!

وقال : انصتوا إلي .. تعالوا !

وبعد نداءات غير مجدية ، قال لنا : هل رأيتم ؟ سيموت الآن . لقد أصبح مثل العود ، وسيموت في دقائق قليلة . ايها الناس ! لاتنتظروا حتى لايصبح الوقت متأخراً .. أخرجوا . !!

وخيم علينا الصمت ، وصاح « نام ترانج » . افتحوا هـذا الباب » وقال لنا . اخرجا انتما الاثنين لتلقيا عليه نظرة !

وزحفنا وألقينا نظرة على «هيو» .. كان هيكلا من العظام ، عاريا بلا ثيـــاب ، ورأسه مستريح على فراشه الخشبي . وشعره الطويل مبلل ، وبركة الماء مصبوغة بدمائه ، وجزء من أمعائه قد برز .

وظل « نام ترانج » يصيح . هيو .. هيو .. هيو ..

ولكن هيو ظل بلا حراك .. كان قد مات .

وصاح « نام ترونج » . انه ميت .

وأمسك أحد الجنود بأذن هيو ، وهز رأسه ، ولكن هيو لم يعد الا جثة هامدة .

الفهرس